بسم الله الرحمن الرحيم

المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

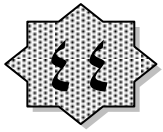

ثقافة التقريب

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

العدد ٤٤ ـ محرم ١٤٣٢هجرية قمرية

دي ١٣٨٩هجرية شمسية / يناير (كانون الثاني) ٢٠١١

- الآراء الواردة لا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المجمع العالمي للتقريب
- تسلسل الموضوعات خاضع لاعتبارات فنية

المراسلات:

فاكس: ٨٨٣٢١٦١٦٩٨٢١ + هاتف: ٨٨٣٢١٤١١ ٩٨٢١ +

العنوان البريدي للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية:

الجمهورية الإسلامية في إيران – طهران – ص. ب: ٦٩٩٥ـ١٥٨٧٥

العنوان الالكتروني:info@taghrib.ir

الموقـــع: www.taghrib.ir

ثقافة التقريب

ملحق

رسالة التقريب

مجلة تثقيفية عامة تهتمّ بعرض الأفكار التي ترتبط بوحدة الأمة مباشرة أو بصورة غير مباشرة، مع التأكيد على ضرورة وضع المسلمين أمام مسؤولياتهم الكبرى في استعادة العزّة والكرامة واستئناف البناء الحضاري

الإشراف العام

الشيخ محمد علي التسخيري

هيئة التحرير

مجموعة من الكتّاب الرساليين المهتمين بمستقبل الأمة الإسلامية وبوحدة الدائرة الحضارية للعالم الإسلامي

إعداد المجلة:

مركز الدراسات الثقافية الإيرانية العربية

www.iranarab.com

منهجنا في نشر المقالات

١ـ أن يكون المقال ما قلّ في الصفحات ودلّ على فكرة مفيدة في حقل التقريب وصحوة الأمة ووحدتها.

٢ـ للمجلة الحقّ في التلخيص وتعديل العبارات، دون أي مساس في المحتوى، كي يكون المقال منسجمًا مع الإطار العام للمجلة.

٣ـ يحقّ للكاتب أن يطلب عدم ذكر اسمه، وهيئة التحرير سوف تنشر مقالاتها دون ذكر كاتبيها تجنبًا لتكرار الأسماء.

٤ ـ ننشر أيضًا مختارات وعصارات مما كُتب في تراث التقريب.

٥ ـ المقالات والتعليقات التي تعارض هدف المجلّة سوف ننشرها أيضًا إذا كانت ملتزمة بأدب الاختلاف، مع الاحتفاظ بحقّنا في التعليق.

المحتوى

العدد ٤٤

عظمة عاشوراء ٤

وقفات عند فكر الإمام الخامنئي – نهضة الحسين. والتبليغ..... ٧

التوازن الحكيم في شخصية السيد الشريف الرضي ١٨

قتل الحسين يزيدا (شعر) ٣٢

الجوانب الإنسانية لعاشوراء ٣٣

كيف يبدو الإمام الحسين في عدسة الآخر..... ٤٤

القضية الحسينية.. عمق إسلامي وتطلعات إنسانية ٥٦

الحسين بن علي برؤية حضارية ٦٣

دور زينب في المسيرة الحضارية ٧١

الحسين بن علي في الأدب الأندلسي..... ٨٦

درر السمط في خبر السبط لابن الأبّار القضاعي ٩١

عاشوراء (شعر) ١٠١

المقاومة في الأدب العرفاني..... ١٠٥

الفتوة في التراث الفارسي / سعدي الشيرازي نموذجًا ١١٢

سأل المخالف (شعر) ١١٨

جيش الجمهورية الإسلامية الإيرانية..... ١٢٠

عظمة عاشوراء

يوم العاشر من محرم سنة ٦١هـ، شهد التاريخ الإسلامي حادثة ضخمة هائلة تركت أثرها على العصور التالية حتى يومنا هذا. إنها حادثة كربلاء واستشهاد الحسين والهاشميين من أهل بيته، والصحابة الكرام البررة الذين واسوه في ساعة العسرة.

هذه الحادثة اكتسبت عظمتها وخلودها من أمور:

١ – المواقف الرسالية للحسين ومن معه، فلم يكن فيها أدنى ما يشير إلى مطمع صغير بل كان الهدف كبيرًا.. كبيرًا جدًا.. فكأنهم جميعًا كانوا يقولون: اللهمّ إن كان هذا يرضيك فخذ منّي ما يرضيك.. وابتغاء رضا الله سبحانه مَطمح ما بعده مطمح.

٢ – القدسيّة، وكلّ موقف في سبيل الله يكتسب قدسيّة.. لكن حادثة كربلاء كانت بقيادة ريحانة رسول الله، وأحد شبابي أهل الجنة، وعزيز الزهراء عليهم جميعًا صلوات الله.

٣ -خطاب جبهة الحسين بما فيه من إنسانية بلغت الغاية في نُصح من باع ذمّته وانحطّت سريرته، وبلغت القمة في بيان الهدف النبيل : «ما خرجت أشرًا ولا بطرًا ولا ظالمًا ولا مفسدًا وإنما

خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي.. أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر».

٤ - أرتكاس جبهة قَتَلَه الحسين في غاية الخسّة والدناءة والوحشية والفظاظة، بقتل الطفل الرضيع، ومنع الماء، وقطع الرؤوس، ورضّ الأجساد بحوافر الخيل، وحرق الخيام، وإرهاب النساء والأطفال، وسلب المال والمتاع و.. و.. مما ينبئ أن النفس الإنسانية إذا انحطّت فليس ثمة حدّ للانحطاط، تمامًا إذا سمت فليس هناك حدّ للسموّ.

٥ - المظلومية المنتصرة ، وهذا من غرائب التاريخ، أن تكون جماعة تصاب بهزيمة في الظاهر، ثم تسجل انتصارًا باهرًا في قدرتها على الدخول إلى القلوب، وتحريك الضمائر الخامدة، وترسيخ شعار «هيهات منّا الذلّة»، بل وتصبح رمزًا للثائرين على مرّ العصور، حتى يومنا هذا!!

٦ - المنطق الإحيائي في حادثة كربلاء، فقد واجه الحسين مجتمعًا كاد ينحرف عن الأهداف الرسالية (عن القرآن والسنّة)، وينغمس في أهوائه ومتطلبات حياته اليوميّة وفي خسيس العيش كالمرعى الوبيل كما وصفه الحسين. فعمد إلى بعث هزّة تحييه وتنتشله من السقوط، وقد نجح في ذلك أيما نجاح، حين استيقظ المسلمون بعد الحادثة، وتوالت الثورات تلو الثورات حتى استأصلت شأفة الظالمين، وتواصلت مسيرة الأمة في حركة تكاملية معنوية

ومادية تجلت فيما بعد بدوحة الحضارة الإسلامية.

٧ -ظاهرة التخطيط الحسيني الدقيق لحادثة كربلاء، لتحقيق الهدف المتمثل في دخولها عمق الوجدان الإسلامي، وفي إمكان حَمل النداء إلى العالمين. واشترك في تنفيذ هذا التخطيط بالدرجة الأولى الحسين وأخته زينب عليهما السلام.

ما وصلنا من وثقائق تاريخية عن واقعة كربلاء، يدلّ على أنّ الحسين أدخل في ساحة المعركة كلّ ما يمكن أن يبعث صقعة في النفوس الخامدة والضمائر الميتة، من طفله الرضيع إلى شباب بني هاشم، وإلى أولاده وأهل بيت رسول الله، ثم إنّه عليه السلام لم يترك فرصة إلاّ وأعلن فيها عن أهدافه وبيّن مرامه وأكد صموده وإصراره على عدم الاستسلام للدنيّة وعدم مبايعة الفاجر الفاسق.

ومواقف زينب عليها السلام تدلّ أيضًا أنها كانت مُعَدّة مسبَقًا لمواصلة الخطّة بعزيمة ورباطة جأش واستقامة، وهكذا فعلت في الكوفة والشام والمدينة، بل وفي شمال أفريقيا على أقوى الاحتمال.

هذه كلها وغيرها اجتمعت لتجعل من حادثة كربلاء خالدة على مرّ التاريخ، ومحفّزة للأمة تدعوها أن لا تداهن ولا تهادن ولا تتخاذل ولا تتراجع ، بل تمضي على بصيرة من أمرها مقتدية بأبيّ الضيم وسيّد شباب أهل الجنة عليه وعلى جدّه وأبيه وأمه أفضل الصلاة والسلام.

وقفات عند فكر الإمام الخامنئي

نهضة الحسين.. والتبليغ

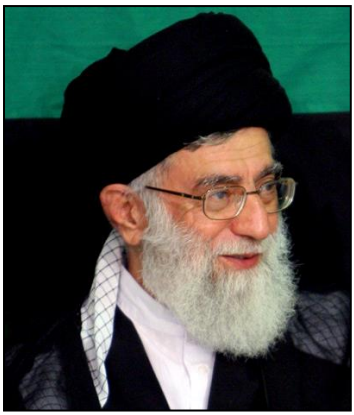

• قبيل حلول شهر محرم من كل عام يلتقي الإمام القائد بجمع من علماء الدين وطلبة علوم الدين ليحدثهم عن "الحسين" وعن "التبليغ". العاشر من محرم هو عاشوراء الحسين، وحادثة كربلاء منطلق "إحياء" .. وصوت الحسين صوت إحياء. وصوت الإحياء هذا يحتاج في كل زمان ومكان إلى "تبليغ"، أي إلى إيصال هذا الصوت إلى الأسماع والقلوب. ومن هنا يروج المنبر الحسيني في محرم لدى أتباع أهل البيت عليهم السلام لغرض "التبليغ". وحول هذين المحورين يتحدث السيد القائد للمبلغين في أحد هذه المناسبات ومما جاء في هذا الحديث:

سوف أتحدث ـ قليلاً ـ عن قضية عاشوراء أولاً، وعن مسألة التبليغ ثانيًا.

إنَّ قضية عاشوراء التي سوف أتحدث عنها ـ بمقدار سطر من

سجل كبير ـ لم تكن واقعة تاريخية بحتة، بل هي ثقافة وحركة مستمرة، وقدوة خالدة للأمة الإسلامية.

إنَّ الإمام الحسين (عليه السلام) استطاع من خلال نهضته ـ التي كان لها في ذلك الوقت باعثًا عقلائيًا ومنطقيًا واضحًا جدًا ـ أن يرسم نموذجًا ويتركه للأمة الإسلامية.

إنَّ هذا النموذج لا يتمثّل في نيل الشهادة فحسب، بل أمرٌ متداخل ومعقد وعميق جدًا.

العناصر الثلاثية

إنَّ لنهضة الإمام الحسين (عليه السلام) ثلاثة عناصر هي: المنطق والعقل، والحماسة المشفوعة بالعزة، والعواطف.

عنصر المنطق والعقل

إنّ عنصر المنطق والعقل في هذه النهضة يتجلّى من خلال كلمات ذلك العظيم. فكل فقرة من كلماته النيّرة التي نطق بها (عليه السلام)، قبل نهضته عندما كان في المدينة وإلى يوم شهادته، تُعرب عن منطق متين، خلاصته: إنّه عندما تتوفر الشروط المناسبة يتوجَّب على المسلم تحمّل المسؤولية، سواء أدّى ذلك إلى مخاطر جسيمة أم لا.

وإنَّ أعظم المخاطر تتمثل في تقديم الإنسان نفسه وأعزاءه وأهل بيته إلى أرض المعركة وفي معرض السبي قربة لله.

إنَّ مواقف عاشوراء هذه أصبحت أمرًا طبيعيًا عندنا لكثرة تكرارها، مع أنَّ كل موقف من هذه المواقف يهزّ الأعماق.

بناءًا على ذلك، عندما تتوفر الشروط المتناسبة مع هذه المخاطر، فعلى الإنسان أن يؤدي واجبه، وأن لا يمنعه عن إكمال مسيرته التعلقُ بالدنيا والمجاملات وطلب الملذات والخلود إلى الراحة، بل عليه أن يتحرّك لأداء الواجب.

ولو تقاعس عن الحركة، لنتج عن ذلك تزلزلٌ في أركان إيمانه وإسلامه، "قال رسول اللَّه (صلّى اللَّه عليه وآله): «من رأى سلطانًا جائرًا مستحلاً لحرم اللَّه و لم يغيّر عليه بفعل و لا قول كان حقّا على اللَّه أن يُدخله مُدخله».

هذا هو المنطق، فلو أن أصل الدين تعرض إلى خطر ولم يُغيّر ذلك بقول أو فعل، كان حقًا على اللّه أن يبتلي الإنسان اللاأبالي والغير ملتزم بما يُبتلى به العدو المستكبر والظالم.

لقد بيّن الإمام الحسين (عليه السلام) هذه المسؤولية من خلال كلماته المختلفة في مكة المكرمة والمدينة المنورة وفي أماكن كثيرة خلال مسيره، وبيّن ذلك في وصيته إلى أخيه محمد بن الحنفية .

كان الإمام الحسين (عليه السلام) على علم بعاقبة هذا الأمر، وينبغي أن لا يُتصور أنَّ الإمام (عليه السلام) علّق آماله على نيل السلطة وتحرك من أجلها، وإن كانت هذه السلطة من الأهداف المقدسة، كلا، فليس هناك ما يستوجب علينا أن نعتقد بذلك؛

لأنَّ عاقبة هذا الطريق متوقعة وواضحة طبق الحسابات الدقيقة للإمام الحسين (عليه السلام) والرؤية الإمامية، إلا أنَّ أهمية المسألة تتأتى من هذا الجانب، وهو أنّ ما قدّمه الحسين على عظمته وسموّ مكانه من تضحية كبرى يعتبر درسًا عمليًا بالنسبة للمسلمين إلى يوم القيامة، وليس درسًا نظريًا يُكتب على لوحة الكتابة ثم يُمحى، كلا، فقد خُطَّ هذا النهج بأمر إلهي على صفحات جبين التاريخ، وأدى ثماره إلى يومنا هذا.

إنّ نهضة الإمام الخميني (قدس سره) في محرم عام ١٩٦٢م استُلهمت من ثمار التطبيق العملي لدرس عاشوراء، وكذلك في محرم ١٩٧٨م استلهم إمامنا العزيز نهضته منها حيث قال: «لقد انتصر الدم على السيف».

وأدّت هذه الحادثة التاريخية الفريدة إلى انتصار الثورة الإسلامية.

هذا ما تحقق في عصرنا، وأمام أعيننا، وإنَّ راية الفتح والظفر التي حملها الإمام الحسين (عليه السلام) ماثلة للشعوب على مرّ التاريخ، ولابد أن تكون كذلك في المستقبل، وهو ما سوف يكون إن شاء الله تعالى، هذا جانب المنطق العقلائي والاستدلالي لحركة الإمام الحسين (عليه السلام).

بناءًا على ذلك، لا ينحصر تفسير نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) بالجانب العاطفي، فهذا الجانب غير قادر على تفسير جوانب الواقعة لوحده.

الحماسة

العنصر الثاني: الحماسة؛ أي أنَّ العملية الجهادية الملقاة على عاتقنا، يجب أن تقترن بالعزة الإسلامية؛ لأنَّ؛ ﴿لِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾، وعلى المسلمين أن يحافظوا على عزّتهم وعزّة الإسلام، ولابد أن يتحلّى الإنسان المسلم بسمات الشموخ والعزة في أشد الأزمات.

لو أننا نظرنا إلى الصراعات السياسية والعسكرية المختلفة في تاريخنا المعاصر، سوف نجد حتى أولئك الذين كانوا يحملون السلاح ويخوضون الحروب، يُعرِّضون أنفسهم أحيانًا إلى مواقف الذلّة، إلا أنَّ هذه المسألة ليس لها وجود في فلسفة عاشوراء، فعندما يطلب الإمام الحسين (عليه السلام) أن يمهلوه ليلة واحدة، يطلبها من موقع العزّة، وحينما يقول: «هل من ناصرٍ ينصرنا» فإنه يطلب النصرة من موقع العزّة والاقتدار، وعندما تلتقي به الشخصيات المختلفة في الطريق بين المدينة والكوفة، ويتكلم معهم ويطلب النصرة من بعضهم، لم يكن ذلك من موقع الضعف وعدم القدرة. وهذا أحد العناصر البارزة في نهضة عاشوراء.

ينبغي أن يُطبّق عنصر الحماسة المشفوع بالعزّة في جميع الحركات الجهادية المدرجة في جدول أعمال سالكي طريق النهضة الحسينية، وأن تكون جميع الحركات الجهادية ـ سواء كانت سياسية، أو إعلامية، أو المواقف التي تستدعي التضحية بالنفس ـ منطلقة من موقف العزّة.

انظـروا إلى شـخص الإمـام الخمـيني (رض) في يـوم عاشـوراء عندما كان في المدرسة الفيضية. فقد كـان رجل دين, ولم يكـن يمتلك شيئًا من القوة العسـكرية, أو أي شـيء مـن هـذا القبيل, إلا أنّه كان يتمتع بشخصية لها من العزّة بحيث يركع العدو صاغرًا لقوة بيانه، هذه هي مكانة العزّة.

هكـذا كـان الإمـام الخميني (رض) في تلك الظـروف، وحيـدًا فريـدًا، لـيس لـه عـدّة ولاعـدد، إلا أنـّه كـان عزيـزًا، وهـذه هـي شخصية إمامنا العظيم.

نشـكر اللّه تعـالى أن جعلنـا في زمـان تمكنّـا فيـه أن نـرى تجسيدًا لما كنّا نردده ونقرأه ونسمعه كثيرًا عن واقعة كربلاء.

العاطفة

العنصر الثالـث: العاطفـة؛ أي أنـّه قـد أصبح للعاطفـة دور مميـز في واقعـة كـربلاء وفي اسـتمرارها، ممّـا أدّى إلى تميّـز النهضـة الحسينية عـن النهضـات الأخـرى، فواقعـة كـربلاء ليسـت قضـية عقليـة جافـة ومقتصـرة علـى الاسـتدلال المنطقـي، بـل قضـية اتّحـد فيها الحب والعاطفة والشفقة والبكاء.

إنَّ الجانب العاطفي جانب مهم؛ ولهذا أُمرنا بالبكاء والتباكي واستعراض مشاهد المأساة.

لقد كانت زينب الكبرى (عليها السلام) تخطب في الكوفة والشام بقوّة وشجاعة، إلا أنها في نفس الوقت تقيم مآتم العزاء،

وقد كان الإمام السجاد (عليه السلام) بقوته وصلابته ينزل الصواعق على رؤوس بني أمية عندما يصعد المنبر، إلا أنه كان يعقد مجالس العزاء في الوقت نفسه.

إنَّ مجالس العزاء مستمرة إلى يومنا هذا، ولابد أن تستمر إلى الأبد لأجل استقطاب العواطف، فمن خلال أجواء العاطفة والمحبة والشفقة يمكن أن تُفهم كثير من الحقائق، التي يصعب فهمها خارج نطاق هذه الأجواء.

العناصر الثلاثة في التبليغ

وبما أننا نبلّغ بإسم الإمام الحسين بن علي (عليه السلام)، وقد أُتيحت لنا فرصة تخليد هذه الشخصية العظيمة، التي من خلالها يمكن تبليغ الدين على جميع الأصعدة، فينبغي أن يكون لكل عنصر من هذه العناصر الثلاثة دور في تبليغنا، فكما يعتبر الاقتصار على الجانب العاطفي وإهمال الجانب المنطقي والعقلي في واقعة كربلاء، تقليلاً من قيمة الواقعة، كذلك التغافل عن الجانب الحماسي المشفوع بالعزة هو تقليل من قيمة الواقعة، وتضييع لقسم من هذه الكنوز الثمينة، فيجب على الجميع (قارئ العزاء، والخطيب المنبري، والمدّاح) أن يلاحظ ذلك.

ما معنى التبليغ؟ التبلغ يعني إيصال فكرة إلى قلوب المستمعين. بعض المبلغين لا يتمكنون من إيصال مطالبهم حتى إلى الأسماع،

فضلاً عن القلوب، بل إنَّ السمع لا يتحمل ما يقولون ولا يستقبله، فالسمع عندما يستقبل شيئًا، يُحَوّله إلى الدماغ، وينبغي أن لا تنتهي المسألة عند هذا الحد، بل لابد أن تنفذ الكلمات إلى القلب وتترسخ فيه، بحيث تتناغم شخصية المستمع مع شخصية المبلّغ، هذا هو دور عملية التبليغ.

إننا لا نؤدي الوظيفة التبليغية بالتحدث فقط، بل بإيصال المادة التبليغية إلى قلب المستمع وترسيخها فيه.

المادة التبليغية

ما هي المادة التبليغية؟ هي المبادئ والقيم الإسلامية، التي ضحَّى من أجلها الإمام الحسين (عليه السلام) بنفسه وحُرمه وأهل بيته، والتي خطّها خاتم الأنبياء محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وجميع أنبياء الله وأوليائه الصالحين، وكان مظهرها أبا عبدالله (عليه السلام).

نحن نريد أن نقوم بتبليغ المنطق والقيم والأخلاق الإسلامية وجميع ما يرتبط بالهوية الإنسانية على أساس الدين، وبناء شخصية المستمع بناءًا إسلاميًا.

أعتبر أنَّ إقامة الحكومة الإسلامية من أهم الأعمال، لكنّ هذا لا يعني أن نغفل عن صيانه الهوية الإسلامية للأشخاص الذين نتعامل معهم فردًا فردًا، فإنَّ هذا من أهم الأمور.

إنَّ النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بدأ ببناء الإنسان ـ بناء اللبنة الأساسية ـ وعندها استطاع أن يحمّله مسؤولية إقامة المجتمع الإسلامي. لم يغفل النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في جميع الأحوال عن بناء هوية مستمعيه، بل كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقوم ببناء هوية الإنسان حتى في الحروب الشديدة كحرب الأحزاب، وبدر، وأحد.

لاحظوا آيات القرآن الكريم، ستجدون أنَّ أهم أهداف التبليغ هو بناء الإنسان.

التناول السياسي والتناول التربوي

علينا أن نحذر من مسألتين:

الأولى: الغفلة عن طرح القضايا السياسية في دائرة كلامنا وأقوالنا وسعينا وجهادنا التبليغي، فهذا ما أنفق عليه الأعداء الأموال الطائلة خلال عشرات السنين، الا أنَّ الثورة الإسلامية بدّدت آمالهم، وجعلت التوجّه السياسي من صميم الدين.

الثانية: التصوّر بأن كل ما يقال على المنبر التبليغي هو التحدث في قضايا أمريكا وإسرائيل وتحليل المسائل السياسية، كلا، فهناك مسائل أخرى مهمة، وهو "قلب" مستمعكم، ينبغي لكم إصلاح وبناء وإرواء قلبه وروحه وفكره، وهذا يحتاج إلى دوافع معنوية، نحن أيضًا لابد أن نمتلك جوانب معنوية لكي نستطيع التأثير في المستمعين، وبدونها لا يمكن تحقق ذلك.

التسلح بالخطاب العقلاني

لا بد أن يشتمل هذا الخطاب المعنوي على عنصري الفكر والمنطق، وعلينا أن نتسلح بهما، لكي لا نتفوه بالكلام الضعيف، فقد صدق من قال: الدفاع الضعيف أسوأ من الهجوم القوي، وهو كلام دقيق، فعندما يكون الدفاع عن الدين ضعيفاً ورخوًا، يكون الأثر السلبي لهذا الدفاع أشد على الدين مما لو هوجم.

يجب أن نبتعد في كلامنا ومنبرنا وتبليغنا عن كلّ كلام هش، لا متانة له ولا ثبات.

فليس من العيب أن نطرح بعض الموضوعات التي نجدها أحيانًا في كتاب وليس لها سند، كأن تكون حكمة أو من المسائل الأخلاقية التي لا تحتاج إلى سند، إلا أنَّ العيب في أن نطرح مسألة لا يستوعبها المستمع؛ لأنّها سوف تبعده عن أصل الموضوع، وتؤدي إلى التقليل من هيبة الدين وهيبة المُبلّغ في عقله وقلبه، وتوحي بأنّ هذا الأمر يفتقر إلى المنطق، بينما أساس عملنا هو المنطق.

بناءًا على ذلك، فإنَّ المنطق هو عنصر أساسي في التبليغ.

ثم المسألة الأخرى هي أسلوب العمل.

أسلوب العمل

عندما نذهب إلى المدينة أو القرية علينا أن نلاحظ سلوكنا،

قيامنا وقعودنا، معاشرتنا، نظرنا وعبادتنا، تعلّقنا بالملذات الدنيوية وأكلنا ونومنا، فهذه تعتبر أهم وسائل التبليغ، وهي إما أن تكون مع التبليغ أو ضده، فإذا كانت صحيحة تكون تبليغًا، وإذا كانت خاطئة تكون ضده.

فكيف نتمكن من جعل قلوب الناس في الوسط الاجتماعي والحياتي تطمئن لكلامنا وتثق بنا ونحن نتكلم في ذم الانغماس في الشهوات الدنيوية، وذم التعلق بالمال والانهماك في طلب الملذات الدنيوية، بينما نحن نعمل خلاف ما نقول لا سمح الله!؟

إما أن لا يؤثر كلامنا أصلاً، أو يؤثر تأثيرًا عابرًا، أو يكون تأثيره معكوسًا تمامًا، وبناء على ذلك فإنَّ العمل بما نقوله مهم جدًا.

إنَّ لديَّ قناعة تامة بأهميّة المنبر، رغم انتشار شبكة المعلوماتية (الإنترنيت)، والفضائيات، والتلفاز، ووسائل الاتصال الأخرى بكثرة، إلا أنه ليس هناك وسيلة من هذه الوسائل تضاهي المنبر، فالمنبر يعني التكلّم وجهًا لوجه، وقلبًا لقلب، وهذا له تأثير مباشر وممتاز ليس له وجود في أية وسيلة من الوسائل الأخرى، فعلينا الحفاظ على المنبر، فهو أمر قيّم، غاية الأمر يجب أن نتعامل معه بطريقة فنية من أجل أن يؤدي غرضه.

التوازن الحكيم

في شخصية السيد الشريف الرضي (رحمه الله)

محمد علي التسخيري *

• المقصود بالتوازن ملء الواقع بالشكل العادل بحيث يوضع الشيء في محله دون أن يتحقق حيف بأجزاء الواقع • موضوعية وعلميته كانت تسمو على شخصيته المذهبية • إن المرء ليعيش روعة الحب العذري وعلو الروح والصورة عندما يعيش مع حجازيات الشريف وغيرها من شعره الغزلي • التوازن في هذه الشخصية ما نلاحظه من توازن بين البداوة والحضارة، وبين تحمل الاضطهاد وعلو النفس، وبين الاعتداد بالأصل والعشيرة ونبذ الأقارب العاقين.

قبل كل شيء يجب أن نركز على أن المقصود بالتوازن ليس ما قد يتبادر إلى الأذهان لأول وهلة من التساوي من الجانبين أو ما إلى ذلك، وإنما يقصد منه ملء الواقع بالشكل العادل بحيث

* -الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

يوضع الشيء في محله دون أن يتحقق حيف بأجزاء الواقع، وبحيث يشكل هذا الملء أفضل حالة لصالح الكمال. وهو ما يمكن أن نطلق عليه اسم «التوازن الحكيم» أو «التوازن العادل». فمثلاً لو أننا لاحظنا جانب الغرائز الإنسانية فإننا نجد أنها تحتاج إلى إشباع معين، وهي قد تتطلب ما يزيد على إشباعها الصحيح، فيؤثر هذا على إشباع الغرائز الأخرى. فإذا أعطيت أكثر مما يتطلبه واقعها وهدفها فقد اختل التوازن المطلوب في إشباع الغرائز فالتوازن لا يعني أن تشبع كل غريزة بالمقدار الذي تشبع به الغرائز الأخرى.

وعندما يتضح هذا المفهوم، نستطيع بأنه لا يحتاج في إجماله إلى استدلال، فإن نظرية خلق الكون بحكمة وإحكام وكون التشريع حكمة تشريعية تنسجم مع الحكمة الكونية هي من أوضح النظريات القرآنية التي يتكرر التصريح والإشارة إليها في مختلف الآيات القرآنية.

كما أن وصف «حكيم» هو من الأوصاف التي يؤكد عليها القرآن لله تعالى بعد عرض آية، أو ذكر نعمة، أو تقرير حكم، أو بيان جانب تكويني، وأمثال ذلك.

وبالنسبة للإنسان يحدد القرآن هدف خلقته بوضوح أكبر حين يعلن ﴿وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون﴾، ومما يوضح أن تكامل الإنسان يتم كلما تأصلت صفة العبودية لله تعالى فيه

كفرد، وأوج كمال الفرد يتمثل في النبي، وأرقى صفة تمنح للنبي انه «نعم العبد».

يقول تعالى: ﴿ووهبنا لداوود سليمان نعم العبد إنه أواب﴾.

وحين يشهد المؤمن لرسول الله سيد البشرية بالرسالة يقدم العبودية أولاً فيقول: «اشهد ان محمدًا عبده ورسوله» ويعكس هذا على الإنسان كمجتمع حيث يعمل عباد الله الصالحون وطليعتهم هم الأنبياء على إقامة المجتمع العابد.

﴿ولقد بعثنا في كل امة رسولاً ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾. هكذا إذن تكون المسيرة الصحيحة المتوازنة المتكاملة للبشرية ضمن خطين. خط العبادة وخط اجتناب الطاغوت، وهما الناتجان الأساسيان من حالة العبودية المطلقة لله تعالى.

فنحن هنا نواجه تفصيلاً وتوضيحًا أكبر للعبودية يتمثل في (العبادة) و(رفض الطاغوت).

فالمراد إذن إيجاد الشخصية المتوازنة التي ترضى شهواتها ولكن وفق التخطيط الإلهي، وتنطلق هادية للآخرين مستخدمة كل المسائل لتبليغ كلمة الحق ونشر الخلق الحميد، منفتحة على الآخر مع الاحتفاظ بخصوصيتها وقناعاتها.

وهذه الصفات نلحظها تمامًا في شخصية السيد الشريف الرضي.

الـدارس لشخصـية العـالم الأديـب والشـاعر الفحـل السـيد الشـريف الرضـي يجـد هـذه الظـاهرة (التوازن الحكـيم) متجسـدة فيها بشكل رائع، مما يؤهله لأن يشكل قدوة رائعة للأجيال.

التوازن الحكيم في شخصيته

ألـف الشـريف الرضـي تسـعة عشـر كتابًـا طبـع منهـا لحـد الآن سبعة كتب، وقد تناولت مجالات القرآن والحديث والأدب.

وقد أسس مدرسـة لتدريس العلوم الدينيـة وأسماهـا (دار العلم) ولعلـها كانـت أول مدرسـة مـن نوعهـا كمـا أسـس أخـوه السـيد المرتضى مدرسة أخرى، وكـان العلمـان الجليلان الشـيخ الطوسـي والقاضي عبد العزيز بن البراج من تلاميذها وبطبيعة الحال فقد سـبقت هاتـان المدرسـتان تأسـيس (المدرسـة النظاميـة) بحـوالي ٨٠ عامًا، وربما جاءت تقليدًا لهما.

هذا وقد عرف من تلامذة الشـريف الرضـي عشـرة مـن العلمـاء والأفاضل.

ويعـد جمعـه لكلمـات الإمـام أمـير المـؤمنين (عليـه السـلام) في كتـاب اسمـاه «نهـج البلاغـة» أروع مـا قـام بـه علـى الإطـلاق، وقـد روته عنه ابنة أخيه السيد المرتضى بعد ان درسته على يديه.

وقـد تـوفي عـام ٤٠٦هـ وهـو في السـابعة والاربعـين مخلفًـا تراثًـا علميًـا وأدبيًـا وشـعريًا ضـخمًا لا يقـدر بثمن، وان لم يقـدره البعض

بدوافع تعصبات مذهبية أو علمية أو حتى أدبية.

وسوف نركز في هذا المقال على ظاهرة عامة هي «التوازن الحكيم» حيث تبدو بوضوح لكل من درس حياته، وسبر أغوار نفسيته من خلال شعره الذي بلغ الأوج، ومؤلفاته التي وصلت إلينا وتم طبعها وما لم يطبع منها كثير مع الأسف، بل وصلنا بعضها ناقصًا؛ فكتابه الرائع *حقائق التأويل* وصلنا منه جزؤه الخامس فقط وهو يفسر الآيات من سورتي آل عمران والنساء تخالف بالنظرة الأولى ما هو معروف من القواعد الأدبية أو الشرعية أو العقلية وهو يرى أن الآيات الست في مطلع سورة آل عمران من المحكمات ويركز على واحد وثلاثين موردًا منها.

ويمكن أن نلخص هذه الظاهرة في حياة السيد الشريف الرضى في المظاهر التالية:

أولاً: العلم المعمق والأدب والشعر الرائع ورغم أن هذه الحالة تبدو لنا في حياة الكثير من العلماء سابقًا ولاحقًا ومنهم أخوه الإمام السيد المرتضى الا أنها هنا تبدو أعظم جلاءً بل تكاد فيه ان تصل إلى حد التضاد فلا يمكن ان تجتمع شاعرية مرهفة وخيال مجنح مع الطبيعة النفسية للعالم المحقق المتأمل بعمق وصبر.

أذكر بهذه المناسبة بيتين لعالم كبير واديب المعي هو الشيخ الحر العاملي (رحمه الله) يقول فيهما:

علمي وشعري اقتتلا واصطلحا فخضع الشعر لعلمي راغما

فالعلم يأبى أن أكون شاعـرًا والشعر يرضى أن أعدّ عالما

ولا يحل هذا التضاد إلا إذا وجدت الروح الكبيرة والإيمان العميق والثقافة الواسعة والإرادة القعساء، وهذا ما نشهده في شخصية هذا العالم والشاعر الشاعر وفوق ذلك الإنسان الإنسان.

والجميل أن يشير هو إلى عنصر التوازن في شخصية الإمام المؤمنين علي (عليه السلام) ، فينقل لنا أنه أراد في جمعه لكلامه في «نهج البلاغة» أن يبدي هذا الجانب فيقول:

«ومن عجائبه، (عليه السلام)، التي انفرد بها، وأمِنَ المشاركةَ فيها، أن كلامه الوارد في الزهد والمواعظ، والتذكير والزواجر، إذا تأمله، وفكر فيه المتفكر، وخلع من قلبه أنه كلام مثله ممن عظم قدره، ونفذ أمره، وأحاط بالرقاب ملكه، لم يعترضه الشك في أنه كلامُ مَنْ لاحَظّ له في غير الزّهادة، ولا شغل له بغير العبادة، قد قبع[1] في كسر بيت[2]، أو انقطع إلى سفح جبل[3]، لا يسمع إلا حسّه، ولا يرى إلا نفسه ، ولا يكاد يوقن بأنه كلامُ من ينغمس في الحرب مصلتًا سيفه[4]، فيقُطّ

---

١ - قبع القنفذ، كمنع: أدخل رأسه في جلده، والرجل أدخل رأسه في قميصه، أراد منه: أنزوى.

٢ - كسر البيت: جانب الحباء.

٣ - سفح الجبل: أسفله وجوانبه.

٤ - أصلت سيفه: جرده من غمده.

الرقاب[1]، ويجدّل الأبطال[2]، ويعود به ينطف[3] دمًا، ويقطر مهجًا[4]. وهو مع تلك الحال زاهد الزهاد، وبدلُ الأبدال[5] وهذه من فضائله العجيبة، وخصائصه اللطيفة، التي جمع بها بين الأضداد، وألف بين الأشتات[6]، وكثيرًا ما أذاكر الإخوان بها، وأستخرج عجبهم منها، وهي موضع للعبرة بها، والفكرة فيها».

إننا هنا لا نحتاج للتدليل على شاعريته فهي كالشمس لا تحتاج إلى بيان، ولكن نشير إلى ما يدل عليه وقد أجمع مؤرخو الأدب على جعل حجازيات الشريف من ألمع فرائد الشعر العربي، ولكن نشير الى علمه على بالإضافة لما مر عند الإشارة لكتابه *حقائق التأويل* حيث يكتشف المطالع له ثقافة وعلمًا واسعين، فعندما يطرح الآية الشريفة: ﴿زين للناس حب الشهوات...﴾ يتساءل عن هذا التزيين وحقيقته، وإذا كان الأمر كذلك فما معنى العقاب عليه؟ ثم يجيب بأن هذه الطاقات معطاة بالفطرة ولكنها عيون فوارة بينت الشريعة أساليب الاستفادة منها على نحو متوازن فإذا خالف الإنسان أمرها استحق العقوبة.

---

١ - يقط الرقاب: قطعها عرضًا. فإن كان القطع طولا قيل: يقد.

٢ - يجدل الأبطال: يلقيهم على الجدالة كسحابة: وهي وجه الأرض.

٣ - ينطف: من نطف كنصر وضرب، نطفًا وتنطافًا: سال.

٤ - المهج: جمع مهجة، وهي: دم القلب، والروح.

٥ - الأبدال قوم صالحون لا تخلو الأرض منهم، إذا مات منهم واحد بدل الله مكانه آخر. والواحد بدل أو بديل.

٦ - الأشتات: جمع شتيت: ما تفرق من الأشياء.

وهكذا نجده يقف بعمق متأملاً المعاني الواردة في المقاطع القرآنية الشريفة: ﴿هُنّ أمّ الكتاب﴾ ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا﴾ ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو﴾ وغيرها .

وإذا انتقلنا إلى كتابه *تلخيص البيان في مجازات القرآن* نجده أحد أهم المصادر البلاغية على الإطلاق. وهو أول كتاب يركز على المجازات القرآنية بمعناها البلاغي، أما أبو عبيدة معمر بن المثنى فهو في كتابه يجنح إلى التفسير أكثر كما لا يركز الجاحظ في كتابيه *البيان والتبيين والحيوان* على خصوص المجازات وكذلك نجد ابن قتيبة - تلميذ الجاحظ - في كتابه *تأويل مشكل القرآن*.

وربما كان تبحر الرضي في البلاغة ناتجًا عن دراسته على أساتذة كبار كالسيرافي وابن نباتة.

وقد ذكر الأستاذ زكي مبارك ذلك وقال: «ومعاذ الأدب ان استخف بآثار الشريف في ميادين الفكر والعقل، فقد بلغ الغاية في كتاب *المجازات النبوية* وكتاب *حقائق التأويل* ولو كان الشريف غير شاعر لاستطاع أن يزاحم أماثل العلماء ولكن عبقريته الشعرية جنت عليه، فخف ميزانه في الحياة العلمية بالقياس إلى بعض معاصريه ومنهم أخوه الذي أتى بالأعاجيب في الفقه والتوحيد)[1].

---

١ - عبقرية الشريف الرضي ج ١ ص ١٩٣.

ثانيًا: الاعتزاز بالمذهب والدفاع عنه مع الانفتاح على الآخر:

ولا تنافي بين الأمرين في الواقع وان كان البعض يرى التنافي إلا أن الحقيقة تؤكد الانسجام. فطبيعي ان يعتز المرء بما يقتنع به وان يعتبره صحيحًا حقًا يعبد الله على أساسه، ولكن ذلك لا يعني ان يرفض الآخر او يحقّره أو يكفره.

فالشريف شيعي مؤمن بمذهب أهل البيت(ع) يعمل على نشر فضائلهم، ويتغنى بتاريخهم ، ويتألم لآلامهم ولكن ذلك لا يمنعه من احترام الآخرين وتجليلهم فيقول عن يوم (الغدير):

غدر السرور بنا وكان ... وفاؤه يوم الغدير
يوم أطاف به الوصي ... وقد تلقب بالأمير

ويقول عنه أيضًا

لله در اليوم ما أشرفا ... ودر ماكان به أعرفا
ساق الينا فيه رب العلى ... ما أمرض الأعداء أو أتلفا
وخص بالأمر عليًا وإن ... بدّل من بدّل أو حرّفا
ان كان قولاً كافيًا فالذي ... قال بخم وحده قد كفى
قيل له بلغ فإن لم يكن ... مبلغًا عن ربه ما وفى[1]

ويفتخر به فيقول: -

على مثل هذا اليوم تحنى الرواجب

وتطوى بفضل خيز فيه الحقائق

---

١ - مناقب آل أبي طالب لابن شهراشوب ج ٢، ص ٢٢.

حُبينـــا وأمّرنـــا بـــه فبيوتنـــا لدن قيل ما قد قيل فيه الأهاظب
وطالت بما نلناه أجنحة الورى وسارت به في الخافقين الركائب
وقال اناس هالهم مارأوا لنا إلا هكذا تأتي الرجال المواهب[1]

وقصيدته في التأوه على فاجعة كربلاء سارت بها الركبان ويقول فيها:

كربلا لازلت كربًا وبلا ما لقي عندك آل المصطفى
كم علـى تربك لما صرّعوا من دم سال ومن دمع جرى

ونجده يمدح الفاطميين رغم أنه كان يعيش في دولة العباسيين فيقول:

وطاغ يعير البغي غرب لسانه وليس له عن جانب الحق ذائد
شننت عليه الحق حتى رددته صموتًا وفي انيابه القول راقد
يُدل بغير الله عضدًا وناصرًا وناصرك الرحمن والمجد عاضد
يُعير رب الخير بالي عظامه الانُزّهت تلك العظام البوائد
ولكن رأى سب النبي غنيمةً وما حوله الا مريب وجاحد
ولو كان بين الفاطميين رفرفت عليه العوالي والظبا والسواعد

وربما يصح ما قيل :ان اهتمامه بشرح خصائص البلاغة القرآنية والبلاغة النبوية هو دحض للمفتريات التي وجهت إلى التشيع والتي ادعت ان الشيعة لا يهتمون بالقرآن والحديث، ومن

---

١ - الديوان تحقيق المحامي ج ١ ص ٣٥.

هنا نفهم أن الشريف المؤلف كان معلمًا عظيمًا. وكان من الساهرين على رعاية الوحدة الاسلامية وهو بالتكريم خليق[1].

ومع كل ذلك فإن موضوعيته وعلميته كانت تسمو على شخصيته المذهبية، وقد اهتمّ بدراسة مذهب الإمام الشافعي تمامًا كما رأينا تلميذ مدرسته الشيخ العظيم الطوسي يهتم به ويطرحه في كتاب الخلاف **حتى عده المرحوم السبكي من علماء الشافعية**[2] ويبدو أن حالة التسامح هذه كانت سمة عامة آنذاك فقد ألّف السيد المرتضى *الناصريات* وفاء لجده الناصر وهو زيدي المذهب مركزًا على نقاط الوفاق، وربما أيد الرأي الآخر حيث يقول مثلاً: - «ويقوى في نفسي – عاجلاً إلى ان يقع التأمل في ذلك – صحة ما ذهب إليه الشافعي»[3].

ومن الجميل أن نجد أن العلاقة بينه وبين أبي اسحق الصابي بلغت شأوا بعيدًا، مع اختلاف الدين والعمر وقد رثاه بقصيدة رائعة يقول في مطلعها: -

أرأيت مَنْ حَمَلوا على الأعواد أرأيت كيف خبا ضياء النادي

ما كنت أعلم قبل حَطّك في الثرى أن الثرى يعلو على الأطواد

ثالثًا: بين خلق الشعراء وأدب العلماء وعفتهم:

صحيح أن خلق الشعراء وخيالهم يجنح بهم إلى الطرف والغزل

---

١ - عبقرية الشريف الرضي المبارك، ج ١، ص ٢٠٠.

٢ - طبقات الشافعية الكبرى ج ٣ ص ٥١.

٣ - مقدمة كتاب الناصريات ص ٤٣.

والنسيب والجمال حتى في أقدس اللحظات والحج والحجاز في موردنا أقدس الأماكن ولكنه في شخص شريفنا لا يتجاوز الصورة الشعرية ولا يعبر العفة والخلق الرفيع، بل يمتلئ شعره بالوعظ والتربية الحلقية.

وهو ما نلمحه في كثير من العلماء وحتى العرفاء والربانيين. وربما عبروا به عن وله بمعشوقهم الأصيل.

إن المرء ليعيش روعة الحب العذري وعلو الروح والصورة عندما يعيش مع حجازيات الشريف وغيرها من شعره الغزلي البدوي الحضري الأصيل.

ولا تزال الأبيات التالية تتردد عبر العصور وهي تصف حالة وداع ديار الحبيب:

ولقد وقفت على ديارهم ... وطلولها بيد البلى نهب
فبكيت حتى ضج من لغب ... نضوى ولحج بعذلي الركب
وتلفتت عيني فمذ خفيت ... عني الطلول تلفّت القلب

وينطلق الخيال معه وهو يقول:

إن الذي غمر الرقاد وساده ... لم يدر كيف نبا علي وسادي
لولا هواك لما ذللت وإنما ... عزي يعيرني بذل فؤادي

أو يقول:

ابكي ويبسم والدجى ما بيننا ... حتى أضاء بثغره ودموعي
قمر إذا استخجلته بعتابه ... لبس الغروب ولم يعد لطلوع

قد كنت أجزيك الصدود بمثله لو أن قلبك كان بين ضلوعي

ولكن العفة تطفح في شعره فتوازن المسيرة فيقول:

عفاف كما شاء الإله يسرني

وإن سيءَ منه بكرها وعَوانها

ويقول:

وإذا هممت بمن أحب أمالني حصر يعوق وعفة تنهاني

ويقوله

يعف عن الفحشاء ذيلي كأنما عليه نطاق دونها وحجاب

ويقول:

أنا من علمتن الغداة نقية أزري وضامنة العفاف مآزري

وشعره في بث روح العمل والخلق الحسن والعزيمة كثير فهو يقول:

ينال الفتى من دهره قدر نفسه وتأتي على قدر الرجال المكايد

ويقول: -

ما الفقر عار وإن كشّفت عورته وإنما العار مال غير محمود

ويقول: -

يقدم الباسل الأبي على الحتف وفيه عند الهوان نكول

ويقوله: -

وما واثق بالدهر إلا كراقد على فضل ثوب الظل والظل يسرع

ويقول: -

بالجدلا بالمساعي يبلغ الشرف تمشي الجدود بأقوام وان وقفوا

ويقول: -

وما جمعي الأموال إلا غنيمة لمن عاش بعدي واتهام لخالقي

إلى غير ذلك مما يشعرنا بنفس الزاهد المربي الحصيف.

والحقيقة إن معالم التوازن في هذه الشخصية العظيمة كثيرة؛ من قبيل ما نلاحظه من توازن بين البداوة والحضارة، وبين تحمل الاضطهاد وعلو النفس، وبين الاعتداد بالأصل والعشيرة ونبذ الاقارب العاقين وغير ذلك فلنكتف بما أوردناه.

وفي ختام هذا المقال أشعر بكثير من التقصير من قبل كتابنا ومحققينا تجاه هذه الشخصية الفذة فليعوض الجميع ذلك والله الموفق.

لم يكن الإمام الخميني محدوداً بمجموعة من الخصائص المتميّزة التي تشكل شخصيته. لا شك أن الإمام الكبير ذو أبعاد مختلفة، كان إنساناً بارزاً وممتازاً .. عالماً كبيراً، فقيها له مدرسته، فيلسوفاً بارعاً، سياسياً، مصلحاً اجتماعياً كبيراً، ومن الناحية الروحيّة كان صاحب خصال وخصائص ممتازة قلّ لها نظير.. كل هذه الجوانب تجعل من الإمام في أعين معاصريه والأجيال التالية إنساناً بارزاً، غير أن شخصية الإمام الكبير غير محدود بهذه الخصائص. البُعد الآخر لشخصيته عبارة عن الأصول والمسارات الواضحة التي وضع أسسها في هذا البلد.

الإمام الخامنئي

قَتَل الحسين يزيدا

أحمد الوائلي

يومٌ طلعتَ على الزمان وليدا ... سيظلُ ملءَ فمِ الزمان نشيدا

يممتُ يومكَ كالظماءِ بلفحةِ ... الصحراء تلتمس الغدير ورودا

فرأيتُ بين شروقهِ وغروبهِ ... صورا تعزُ على النعوت حدودا

مثلتَ خيِّرها ومثَّل شرَّها ... نفرٌ فكنتَ سَمًا وكان صعيدا

واذا أراق اليوم زاكية الدما ... فغدا سترفعها الشعوب بنودا

فرأيتك العملاق جيدًا متلعًا ... ينعى على الاقزام تُهطع جيدا

ورأيتك الفكر الحصيف يشقُ ... أستارالغيوب ويستشفُ بعيدا

ورأيتك النفس الكبيرة لم تكن ... حتى على من قاتلوك حقودا

فعلمتُ انك نائل ما تبتغي ... حتمًا وإن يكُ شلوك المقدودا

وبأن من قتلوك ودّوا عكس ما ... قد كان لو علموا المدى المقصودا

ظنوا بأنْ قتلَ الحسينَ يزيدهم ... لكنما قَتَلُ الحسينُ يزيدا

الجوانب الإنسانية لعاشوراء

ميسر سهيل *

• نهضة الحسين كانت ملحمةً حماسيةً إنسانية • الإمام إنما نهض للإصلاح وإعادة أمور الدين إلى نصابها • القضية ليست موقفًا شخصيًا ذاتيًا وإنما هي قضية إنسانية تتعلق بالحفاظ على مصلحة الأمة • مسؤولية كل فرد من أفراد الأمة الإسلامية جمعاء، حراسة مصالح الآخرين • من أهم الخصائص المميزة لنهضة الحسين، هي النظرة الفاحصة والثاقبة التي امتاز بها • لقد علَّمنا الحسين أن الثورة من أجل الأمور الكبيرة تحتاج إلى نفوس كبيرة لقيادتها • إذا كان الأبطال يموتون واقفين، فالحسين قضى شامخًا بالشهادة.

لا أريد أن أتحدث عن تاريخ عاشوراء، لأن التاريخ ماض نتأمله للاعتبار من أجل الحاضر والمستقبل ، لذا دعونا نتأمل ما في هذه الذكرى العظيمة من مواقف وأسباب وأهداف وغايات، ما زالت

* -خبير إعلامي سوري.

الأمة الإسلامية بحاجة إليها، بل هي أحوج ما تكون إليها في وضعها الحالي المؤلم، فنهضة الحسين كانت ملحمةً حماسيةً إنسانية، ومظهرًا من مظاهر العظمة والصفاء والنبل والتضحية والفداء، تستحق التأمل والتفكير العميق.

العوامل المؤثرة

ولكي نتلمس معالم هذه النهضة، لا بد من دراسة العوامل المؤثرة فيها واستشعار توجهاتها الحقيقية التي تشير إليها، ليتم الاحتفاء بها على الوجه المتوافق مع أهدافها، من أجل الوصول إلى الالتزام بها شكلاً وموضوعًا، وهذه العوامل تتمحور من حيث الظاهر حول أمور هامة، أولها ـ وربما محركها ـ هو طلب البيعة من الإمام الحسين عليه السلام تحت الإكراه والتهديد، وهو يرى أن تلبيتها تنطوي على مفسدتين خطيرتين: إحداهما إضفاء المشروعية على الخلافة الوراثية، التي تنفي دور الأمة بانتخاب من ترى فيه القدرة والكفاءة على قيادتها إلى ما فيه صلاح أمرها في الدنيا والآخرة، كما تمنع أهل الحل والعقد في الأمة من ممارسة دورهم في اختيار الأصلح لتحمل المسؤولية الدينية والدنيوية في الآن معًا، فالموقف ليس متعلقًا بشخص بعينه، وإنما بالطريقة التي يتم فيها اختياره أيضًا.

وأما المفسدة الثانية فهي أن الشخص المطلوب مبايعته كان يبرهن بسلوكه السيء، وفقدانه للأهلية القيادة، على صحة ما

يتمخض عنه المنهج الوراثي، من ضياع مصالح الأمة في دينها ودنياها، وذلك لعدم التزامه بثوابت الشرع والمجاهرة بمخالفة مبادئه، وفي ذلك هدم لدين الأمة ودنياها. كما أن الشخص المرشح لوراثة الخلافة يفتقد الحنكة السياسية، حيث ممّا لا شك فيه أن الخلافة الإسلامية تستند إلى تطبيق الشرع الإسلامي ممثّلا بشخص الخليفة، فملايين البشر من أبناء القوميات المختلفة في آسيا وإفريقيا وأوربا، ممن انضووا تحت راية الإسلام، إنما يخضعون لها؛ لأنها تحكم بمبادئ الشرع الإسلامي الحنيف، وأنّ خليفتها هو الراعي لتطبيق ذلك، فالمصلحة تقتضي عدم مبايعة من لا يلتزم بحدود الله وشرعه الحنيف، لأن عدم التزامه يمزق وحدة المسلمين ويضيّع مجدهم.

ولهذا كان الحسين عليه السلام يبين سبب رفضه للبيعة بقوله: «**وعلى الإسلام السلام إذا بُليت الأمة براع مثل يزيد**». فالقضية ليست موقفًا شخصيًا ذاتيًا وإنما هي قضية إنسانية تتعلق بالحفاظ على مصلحة الأمة في وحدتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية. ولأن مجرد وجود شخص غير مناسب في سدة الخلافة، هو تقويض لدعائم الدولة الإسلامية، والحسين قدوة للأمة، وعمله جدير بأن يتابعه الناس عليه، فيكون قبوله ترسيخًا للخطأ الذي يهدم قواعد الأمة من أساسها، ولذلك كان يقول عليه السلام: «مثلي لا يبايع مثله أبدًا»، فهو يعتبر ذلك تضليلا للأمة وعودة بها إلى حكم الجاهلية، الذي يقوم على قهر

العباد وسلب حريتهم وضياع مصالحهم، ويؤدي إلى ضعف كيانهم، مما يسلّط عليهم المتجبرين داخليًا، والأعداء المتربصين بهم خارجيًا، وهذا الأمر الخطير يفرض على أمناء الأمة الاعتراض عليه بكل ما أوتوا من قوة، حتى لو تطلب ذلك التضحية بالأنفس والأموال.

وبالنظر إلى هذا العامل لا يعني أن الإمام الحسين، لو لم تطلب منه السلطة ذلك، لم يكن لينهض باعتراضه ومواجهته، ويؤثر السلامة وهدوء البال، بل كان سيفعل ذلك حتمًا شعورًا منه بالمسؤولية، لأنه رجل فاعل في الأحداث، فقد رأى الفساد قد عمَّ البلاد، وصار حلال الله حرامًا وحرامه حلالاً، وصار بيت مال المسلمين بأيد غير أمينة، وأمواله تصرف بغير رضا الله ورسوله، والحسين يذكر قول الرسول الكريم محمد (ص) «**من رأى سلطانًا جائرًا، مستحلاً لحرم الله، ناكثًا لعهد الله، مخالفًا لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقًا على الله أن يدخله مدخله**».

وهذا يعني أنّ كل من يعلم ويشعر ويدرك، أن الأمور تتجه إلى الفساد، فعليه أن ينهض للتصحيح، وإلا سيكون مصيره مشتركًا مع مصير مجتمع المذنبين العاصين لأوامر الله، ويصير المجتمع كلّه بمواجهة قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ (الأنعام/٦٥) وقول رسول الله(ص)

«لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهونَ عن المنكر أو ليسلطنَّ الله عليكم شراركم، فيدعوا خياركم فلا يستجاب لهم».

وبهذا نتبين أنّ عامل رفض البيعة لم يكن شخصيًا، وإنما هو مرتبط بالعامل الثاني وهو القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يتعلق به صلاح الأمة. فقد كان الإمام الحسين يقسم بالله ويقول «**إني لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ولا مفسدًا ولا ظالمًا، إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدّي، أريد أن أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وأبي عليّ بن أبي طالب**».

فالإمام إنما نهض للإصلاح وإعادة أمور الدين إلى نصابها، ليعرف العالم الإسلامي أنه غير راض عن الانحراف، فهو لا يطلب الجاه ولا السلطان ولا الثروة، ولقد ظلت هذه الروح تتجلى في تحرك الحسين وشخصيته منذ اليوم الأول الذي وجد فيه نفسه بحاجة إلى الثورة على الخطأ، حتى اللحظات الأخيرة من حياته، ولم يكن بالإمكان أن تفارقه هذه الروح أو تنفصل عنه أبدًا، فكان عليه السلام ينهض بمنتهى المروءة ويقدم كل شيء بإخلاص تام في النية والعمل، وكان مثالا يحتذى في التضحية والفداء.

أما العامل الثالث لنهضة الحسين عليه السلام، فهو كتب أهل الكوفة له يدعونه فيها للالتحاق بهم؛ صحيح أنه عليه السلام توجه إلى الكوفة بناء على ذلك، ولكنه كان قد بدأ حركته ونهوضه حين كان في المدينة المنورة، عندما تعرَّض لطلب

البيعة القسريَّة، فرفض ذلك وخرج منها قاصدًا مكة المكرمة، إلى حيث الحرم الآمن بسبب موقعية مكة الأمنية ومركزها الاجتماعي والسياسي المهم، ولا سيما في موسم الحج والعمرة، حيث تهوي إليها الأفئدة من كل فج عميق، فيمكنه إرشاد الناس ووعظهم بشكل أفضل وأوسع ، فهناك إذن فرصة ذهبية مواتية للتبليغ والدعاية وشرح وجهة النظر المتعلقة بمصلحة الأمة، لكن! وقد صارت المدينة، ومن ثمَّ مكة، موضع خطر على الإمام، فقد أجاب من سأله عن ذلك بقوله: «إنهم يبحثون عني، ولن يهدأ لهم بال قبل أن يروا دمي ينزف أمامهم» فمن الطبيعي أن يستجيب الحسين لطلب التوجه إلى الكوفة حين وصلته دعوة أهلها، بعد شهرين من نضاله في مكة، ولم تكن دعوة أهل الكوفة إلا سببًا لانتقاله، لعله يجد مناخًا مناسبًا، من باب اتخاذ الأسباب، وإصرارًا منه على النهوض الإصلاحي الذي يتحرك في سبيل تحقيقه. فالمسلم وإن كان مستعدًا للتضحية، عليه أن يتخذ الأسباب، باذلاً جهده بالسلامة، من أجل النهوض بالواجب.

ولقد كان الواجب المتعلق بالمصلحة العامة وحفظ الدين لا يقبل المهادنة والحلول الوسط، لأن ذلك خيانة للأمة وهدر لمقومات مصيرها، والمقصود من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هو الاستفادة من كل الوسائل المشروعة في سبيل الوصول إلى الأهداف السامية وتدعيمها وترسيخها، تطبيقًا لقول رسول الله(ص): «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**»، فلا ركون

للمنكر، والنبي (ص) يقول: «**من رأى منكم منكرًا فليغيِّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، وإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**».

فمسؤولية كل فرد من أفراد الأمة الإسلامية جمعاء، حراسة مصالح الآخرين، وهم مسؤولون عن بعضهم البعض، فكيف إذا تعدى الأمر القضايا الفردية والجزئية، إلى تهديد المصالح العامة وانتشار الظلم وشيوعه.

لقد أراد الحسين فتح العيون المغلقة على الحقيقة، وتبصرة من رانت عليهم الغفلة، ومن أصابهم داء التحريف والانحراف، فوقعوا في مهاوي العتمة وغياهب الظلمة، فأبرز لهم الحسين حركة رائدة في سبيل الحق، واقعيةَ المنطلق والغاية، فالحق باعثها وسبيلها ورائدها وسلاحها، وغايتها التي بلغت مداها.

إن قيمة قيام الإمام على هذا الأساس تضاعفت كثيرًا، وأخذ الدرسُ الحسيني وضعيَّة خاصة، لأن هذه الأسس التي قامت عليها أعطت للنهضة الحسينية جدارتها، فاستحقت تلك النهضة الحياة والخلود.

البصيرة .. من أهم خصائص النهضة

وإن من أهم الخصائص المميزة لنهضة الحسين، هي النظرة الفاحصة والثاقبة التي امتاز بها، وامتلاكه البصيرة بالأشياء، فقد كان يستشف المستقبل في حركة الزمن، ويرى في الأفق

أمورًا وأحداثًا، لم تكن لغيره القدرة على رؤيتها، تقتضي ذلك القيامَ للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فعلينا أن نتعرَّف أكثر فأكثر على واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لاستشكاف القدرة الكامنة فيه لاستنهاض الأمة، والقدرة على تأهيل الإنسان للتضحية بالنفس والمال والأصحاب، من أجل انتصار المبدأ الذي يضمن سلامة المجتمع، ويصونه من التفكك وتفرق الأمة، وذلك حسب مقتضى الحال، فللإصلاح من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مراتب يطول بحثها، تبدأ بالإنكار القلبي وتتدرج إلى أقصى حدود البذل والفداء.

لقد علَّمنا الحسين، أن الثورة من أجل الأمور الكبيرة تحتاج إلى نفوس كبيرة لقيادتها، نفوس قادرة على النهوض والتضحية في كل عصر وزمان، نفوس صامدة راسخة رسوخ الجبال الرواسي، تستمد عزمها من مدرسة الحسين الذي قال للمستبكرين «**والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر إقرار العبيد**»، هكذا يكون التفاوض مع الأعداء، لذلك نرى حاملي شعلة الحق لا يرتابون ولا يترددون كما يتردد المنبطحون على ملذات الدنيا وأموالها ومناصبها الزائلة، فما كان لله فهو المتصل وما كان لغير الله فهو المنقطع والمنفصل.

معنى الفوز

علمنا الحسين أن المؤمنين بالمسؤولية الكبرى الملقاة على

عاتقهم من أجل أوطانهم وأمتهم هم الفائزون، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ...﴾ فهم فائزون بإحدى الحسنيين النصر أو الشهادة، وهذا سر نداء الحسين «**هيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت**» لقد قام الإمام الحسين بعمل خالص لوجه الله تعالى دون أي شائبة، وأدى المهمة المطلوبة منه لأمته ودينه في حدّها الأقصى، فلم يدع شيئًا قابلاً للتضحية في سبيل الله، إلا وقدَّمة خالصًا لوجه الله، فكانت ثورة الحسين إنسانية الصبغة، وكانت خصوصية كربلاء أن جماعتها فتحت للأجيال طريق الخلاص من الظلم والاستبداد والتسلط، والانحراف عن دين الله القويم، فيما سيأتي بعدهم من الأيام، على مدى الزمن.

ولم يكن أحد من أهل الحسين وأحبائه قد جيء به قسرًا، بل كلّهم كانوا إخوة العقيدة والفكر والإيمان، وقد رفض الإمام من الأساس أن يكون بين صفوفه أي فرد يشكل نقطة ضعف، لهذا عرض على أصحابه العودة لمن أراد منهم ذلك، مرتين أو ثلاثة، ليبقي على النخبة الخالصة النقية. فالنخبة دائمًا هي التي تحقق الغاية المنشودة والهدف الأسمى «**هيهات من الذلّة**» مهما كان العدوّ متغطرسًا ، ومهما كثر الخونة والمتآمرون، حتى في أكثر اللحظات حرجًا وضيقًا.

غير أن الإمام الحسين على الرغم من هدفه الإصلاحي تبرز في اللحظة الحاسمة روحه الإنسانية وعطفه على رهطه من الأهل والأصحاب، فيقوم ليلة العاشر من محرم، حين ادلهم الخطب

وأحاط بهم الأعداء، فيدعو الجميع بلمسة إنسانية رائعة ويقول لهم: «**ألا وإني قد أذنت لكم فانطلقوا جميعًا في حل، ليس عليكم أي حرج مني ولا ذمام، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا، وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي، وتفرقوا في سواد الليل، وذروني وهؤلاء القوم فإنهم لا يريدون غيري**».

ولكن! هيهات لهذه النخبة أن تقبل بالذلّة، فقد تعلموا أن المسؤولية بالغة القيمة إلى الحد الذي تتطلب التضحية بكل شيء في سبيل الله عند الضرورة، فكان الصمودُ والثباتُ المتينُ سيِّد الموقف.

في يوم عاشوراء استشهد سبط رسول الله الإمام الحسين عليه السلام، ليكتب بالدم ضرورة التغيير حين تفسد الأمور، واستشهد أحفاد رسول الله ونكّل بآل بيته، ونحن نحب رسول الله(ص)، ونبرأ إلى الله مما جرى لآل بيته، كلَّما قرأنا في صلواتنا : «**اللهم صل على محمد وآل محمد**».

استشهد الحسين وتوالت الأحداث التي تنبَّأ بها، فلم تدم الخلافة ثلاث سنوات إلا في ظل الأزمات المتلاحقة، ثم انتهت حين شاءت حكمة الله، ألا يجعل في وريثها أهليةً وصلاحية للخلافة، فاستقال واعتزل الحكم، ليحدث التّغيير الذي ثار من أجله الحسين.

سلام الله عليكم يا أبا عبدالله، وعلى آل بيتك وأصحابك.. فما زالت ثورتك الإصلاحية خالدة في قلوب المؤمنين، الذين فهموا دروس نهضتك، وعلى رأسها التضحية بكل شيء في سبيل المبدأ

حتى يحدث التغيير المنشود، عملا بمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أجل الإصلاح.

هذا هو درس عاشوراء ليكون الاحتفاء بالمناسبة إيجابيًا: إنه تحمّل المسؤولية والنهوض بها، لمنع ما يقوِّض كيان الأمة ويفرق كلمتها.

وإذا كان الأبطال يموتون واقفين، فالحسين قضى شامخًا بالشهادة، والشهادة أعلى مراتب البطولة والعزة والشرف الذي يستحق الفخر والاعتزاز، وإذا كانت العاطفة مقدسة، ولا بد للعين أن تدمع، فلتكن الدمعة عهدًا للحسين، أن نخلص للمبادئ التي نهض لتحقيقها، **ولنبك أمة غرق الكثير منها في شهوة المال والسلطان، فانبطحوا لمخططات أعدائهم إلى درجة الخزي والعار، فنحن لا نبكي الحسين، وإنما نبكي أمةً يحترق لبنان فيقف جزء منها متفرجًا، وتحترق غزة هاشم، وليت ذلك الجزء وقف متفرجًا، ولكن حين شب حريق في الكيان الصهيوني، هب ذلك الجزء لمساعدته، إنني أبكي أمة أحتل عراقها وأفغانها، ويقسَّم سودانها، ويحاصر كثير من بلدانها بمخططات الأعداء، وما تزال تبحث عن مخرج في سراديب أعدائها، بل لم تعد قادرةً - وهي في سُباتها العميق - أن تفرِّق بين العدو والصديق، ولا أن تميِّز بين ما ومن يضرها، ممن ينفعها ويأخذ بيدها، لينقذها من ذلها إلى عزتها.**

لإصلاح مثل هذا الحال، كانت نهضة الحسين، وكانت تضحيةُ الحسين وآله وأصحابه، رضوان الله عليهم أجمعين.

كيف يبدو الإمام الحسين في عدسة الآخر

نضير الخزرجي *

• كل عَلَم تناول النهضة الحسينية من الزاوية التي ينطلق منها في حياته اليومية • الإصلاح مسألة إنسانية عابرة للحدود • في بعض الأحيان تشعرك النصوص أن صاحبها يحاول التقرب أو التعرف على الإسلام من باب الإمام الحسين (ع) • مستشرق: إن الحزن الذي سبَّبه مصرع الإمام الحسين وأصحابه، ظل يرفد تيارًا كبيرًا من المتعاطفين مع أبناء علي • مستشرق: يعتبر الشيعة الإمام الحسين المدافع الحقيقي عن الأمة • مستشرق: حيث قرئت تلك الحروف الجراح فكانت ٦٧ حرفًا، ثلاثًا وثلاثين طعنة رمح، وأربعًا وثلاثين ضربة سيف • مستشرق: لاشك أنه (الحسين) قدوة في سبيل ترسيخ المبادئ الحقَّة • مستشرق: أنا مسلم للحسين (ع)، مسلم للأمام العظيم الذي أرانا طريق الإنسانية وأرشدنا الطريق الذي يوصلنا إلى منزل الحرية.

* ـ المركز الحسيني للدراسات ـ لندن .

يشعر المرء بالفخر حينما يتحدث الآخر من خارج إطاره العقيدي عن شخصية منه يتمثلها في حياته ويتخذها أسوة لمعاشه ومعاده، ونكاد في كل شهر محرم من كل عام نسمع أو نقرأ عن عالم غربي أو مصلح شرقي يتناول الإمام الحسين (ع) ونهضته المباركة بعظيم القول وجزيل المقال، مثمنًا فيه الروحية العالية التي أبداها في كربلاء بما جعله يقلب الموازين رأسًا على عقب، فصار السيف الذي ذُبح به الحسين (ع) وبالاً على من سلّه.

وإذا تابعنا نصوص أعلام الأمم الأخرى، نجد أن كل عَلَم تناول النهضة الحسينية من الزاوية التي ينطلق منها في حياته اليومية، فكل رأى في الإمام الحسين صورته، مما ينبئ عن عظيم النهضة الحسينية التي اجتمعت فيها كل قيم الخير ومُثُله، مما خلق منها محطة تَزَوّد كل يأخذ منها زاده ووقوده، ولا يزيدها الأخذ إلا زيادة في العبرة والاعتبار.

ومع أن النصوص تزداد كل عام بفعل زيادة قائليها، فإن بعض النصوص احتفظت بحيويتها لأنها أتت من شخصيات لازالت إلى الآن مدار حديث الناس ومحط دراسة المؤسسات البحثية والدراسية من قبيل المهاتما غاندي، أو لأنَّ النص حيوي بحد ذاته بما جعله يحتفظ بطراوته وحرارته، أو أنَّ بعض الأمم لاتزال مبتلية بساسة أو تيارات تجد في هذه النصوص شعارها لا سيما وأنها تستند إلى أسس النهضة الحسينية أو أنها تعبير عن شخصية

الإمام الحسين (ع) الذي أبان في حركته التصحيحية عن رغبة لدى الآخرين في تصحيح أوضاعهم بغض النظر عن الدين أو المعتقد، باعتبار أن الإصلاح مسألة إنسانية عابرة للحدود، كما أن الإنسان بطبعه ميال إلى التأسي بشخصيات الخير لأن الأصل في الإنسان الفطرة السليمة.

ومعظم النصوص جاءت من قراءات الآخر للإمام الحسين (ع) ونهضته قراءة وجدانية كتعبير لا إرادي عن مكامن النفس الإنسانية المجردة عن التعصب الديني أو القومي، ولذلك تأتي القراءة طاهرة وبريئة غير مؤدلجة، يتقبلها المسلم وغير المسلم، وفي بعض الأحيان تشعرك النصوص أن صاحبها يحاول التقرب أو التعرف على الإسلام من باب الإمام الحسين (ع)، وإن لم تقد القراءة إلى تحول عما يعتقد القارئ إلى الإسلام، بيد أن واقعة كربلاء فرضت عليه أن يتناغم معها وجدانيًا وإن تقاطع عقيديًا مع الإسلام، من هنا كان الإمام الحسين (ع) قتيل العَبرة والعِبرة وهما قيمتان لا تخلو أمة من نشدانهما فعلاً أو قولاً.

أعلام من فرنسا

البروفيسور بيير جون لويزارد (Pierre-Jean Luizard) وهو باحث ومستشرق مسيحي فرنسي متخصص بالتاريخ الإسلامي المعاصر في الشرق الأوسط، من مواليد العاصمة باريس في العام ١٩٥٤م، له كتابات مختلفة عن العراق بعامة وكربلاء بخاصة،

يـرى مـن خـلال قراءتـه للواقـع السياسـي بعـد استشـهاد الإمـام الحسين(ع) عام ٦١ هـ، وهو في معرض الحديث عن كتاب *ديوان القـرن الثـاني الهجـري* أحـد أجـزاء دائـرة المعـارف الحسـينية: «إن الحزن الذي سبَّبه مصرع الإمام الحسين وأصحابه، ظل يرفد تيارًا كـبيرًا مـن المتعـاطفين مـع أبنـاء علـي، رغـم جـور السـلطة الأموية خلال قرن كامل من حكمها، كما أنه لم يثن الأمة من المطالبة بالتغيير»، (أنظر: *نزهة القلم*: ٩٤). والبروفيسور لويزارد، الأستاذ في المعهد الوطني الفرنسي للغات والحضارات الشرقية (The - Institute National des Langues at Civilizations Orientals - INALCO) في باريس، إنما ينظر إلى الأمور فيما يقول ويسطِّر نظـرة خـبير، فقـد درس النهضـة الحسـينية وأثرهـا علـى التحـولات الـتي جـرت في التـاريخ الإسـلامي، كـما لا ينسـى دور كـربلاء في معظم الوقائع التي حصلت في العالمين العربي والإسلامي، ولهذا كتب دراسة مفصلة عن تأثير كربلاء في التحولات التي جرت في العـراق بعـد الاسـتعمار البريطـاني للعـراق وقيـام ثـورة العشـرين عـام ١٩٢٠ م بقيـادة المرجـع الـديني الشـيخ محمـد تقـي بـن محـب علـي الشيرازي الحائري المتوفى سنة ١٣٣٩ هـ، وكـان عنوان الدراسـة التي نشرت عام ١٩٩٦ م هو: «كربلاء: مركـز الحكومـة الثورية وعاصـمة ثـورة العشـرين ونمـوذج الوطنيـة العراقيـة»، قـدَّمها لنـدوة كـــربلاء العلميـــة الـــتي عقـــدت في لنـــدن في الفـــترة (٣٠ - ١٩٩٦/٣/٣١ م) وكـان لنـا فيهـا دور في التحضـير لهـا وعقـدها في

«صالون الكوفة» وإعداد وتحرير الكتاب الذي صدر عنها، (انظر *دراسات حول كربلاء ودورها الحضاري*: ٤٢٩ - ٤٤٥).

كما لهذا المستشرق الفرنسي المعروف في الأوساط العلمية والأكاديمية في الدول العربية والعضو في مجموعة المجتمعات والأديان (Groupe Sociétés, Religions, Laïcités) (G.S.R.L) في باريس، أكثر من دراسة وكتاب عن تاريخ العراق ودور المرجعية الدينية فيها، فله دراسة بعنوان: «العراق وتاريخ الإصلاح الإسلامي»، وله كتاب: *مسألة العراق*، كما له: *أخبار العراق الحديث: الدور السياسي لعلماء الشيعة في نهاية الهيمنة العثمانية وحتى إعلان الدولة العراقية*.

ونتوقف مع نص فرنسي آخر يتناول النهضة الحسينية من منظار الشهادة الواقعية وهو يعقد مقارنة مع صلب السيد المسيح(ع) كما في العقيدة النصرانية، يقول البروفيسور بيير لوري (Pierre Lory) أستاذ العلوم الدينية والتصوف في جامعة السوربون الفرنسية والمولود في باريس سنة ١٩٥٢ م في أسرة كاثوليكية، وهو يعلق على كتاب *ديوان القرن الثالث* من دائرة المعارف الحسينية: «يبدو لنا بشكل عام أننا نخطئ خطأ كبيرًا حين نقارن بين إحياء الشيعة لمعاناة الحسين وبين آلام المسيح عند النصارى، لأن هناك حتمًا نقاط اختلاف، فالشهادة في الوعي الإسلامي تحمل قيمًا عالية وهي تمحو ذنوب الشهيد وتمنحه ثوابًا أبديًا.. ومعاناة الحسين وقتله جعلت منه شهيدًا في عليين وشفيعًا

لأتباعه المخلصين ومن يحبه ومن يتبعه بشكل خاص، هنا لا تصح المقارنة، لأن آلام المسيح قد اكتسبت صفاتها المذكورة عند المسيحية باعتباره ابن الربّ، وهذا المفهوم غريب على الوعي الإسلامي الذي يرفض حتى موت المسيح (النساء: ١٥٧ -١٥٨)، انظر: *نزهة القلم*: ١٢٣.

وعن الشهادة ومعناها في ضمير المسلمين يؤكد البروفيسور بيير لوري صاحب كتاب *تدبير الإكسير الأعظم عند جابر بن حيان* وهو في معرض التفريق بين التشهد بالشهادتين والشهادة بالتضحية: «أما الشهادة بمعناها الآخر فتختلف تمامًا وهي أن يكون الإنسان مستعدًا لتقديم حياته من أجل عقيدته، فرسالة الله ليس لها معنى في أفواه الناس إلا عند هؤلاء الذين يجعلون من الحسين أسوة لهم، يجاهدون في سبيل الله من أجل العقيدة، ويكشفون القناع عن الكفر في الوقت نفسه»، (*نزهة القلم*: ١٢٤)، ويقرر في ختام قراءته الأدبية للقصائد التي نظمها شعراء القرن الثالث الهجري في الإمام الحسين (ع) ونهضته المباركة: «إن الإطار الخلفي لهذه المقاطع الشعرية ليس فقط الحزن والإحباط، فإن كل العذابات المنتجة لهذا النوع من الأدب تقف وراء أفق أخروي، ألا وهو قدوم الإمام الشرعي، حامل الحق الذي يأتي ليُظهر المعنى الحقيقي للبلاء الذي يعيشه المؤمنون. ومعركة كربلاء تشكّل رواية المأساة، وليس فاجعة، لأنها ما فتئت تكثف الانتظار للوعد السرمدي»، (*نزهة القلم*: ١٢٥).

ومرة أخرى نقف أمام نصٍّ فرنسي للدكتورة صابرينا ليون ميرفن (Dr. Sabrina Leon Mervin)، المولودة في أسرة مسيحية في باريس سنة ١٩٥٨ م، وهو نص نابع من باحثة ومحققة نالت الدكتوراه في الدراسات العربية من المعهد الوطني للغات والحضارات الشرقية في باريس (The Institute National des Langues at Civilizations Orientals) عام ١٩٩٨ م، فعند تناولها الجزء الأول من كتاب *الحسين والتشريع الإسلامي* أحد أجزاء دائرة المعارف الحسينية، تجزم من خلال دراستها لواقع الإسلام والتشيع بحكم عملها كمديرة أبحاث في مركز الدراسات التخصصية والدينية في باريس (Le Centre d'Etudes Interdisciplinaires des Faits Religieux): «إن الحسين بن علي لعب دورًا له صداه في تاريخ أصول التشيع، فلم يحتل مكانه في سلسلة أئمة أهل البيت فقط، بل أنه منح باستشهاده كل المعاني للحركة الدينية التي أنشأتها أسرته، كما أن الإمام الحسين قد أصبح رمزًا مقدسًا، بخاصة عند الشيعة، وهذا واضح من خلال الشعائر الحسينية والمجالس والمواكب والزيارات»، (*نزهة القلم*: ٣٩٣).

وتعتبر الدكتورة صابرينا ميرفن صاحبة كتاب *تاريخ الإسلام: الأصول والمذاهب* وكتاب *الإصلاح الشيعي: علماء ورسائل جبل عامل منذ نهاية الإمبراطورية العثمانية ولغاية استقلال لبنان*، إن حدث واقعة كربلاء واستشهاد الإمام الحسين (ع) مع أهل بيته

وأصحابه بالصورة المفجعة: «يعتبر هذا الحدث في نظر التاريخ زمنًا متجددًا في التشيع، بل أكثر من ذلك، فإن عملية استشهاد الحسين تشكل قصة أساسية. ألم يقال بأن الحسين قد أحيا دين جده بمأساة كربلاء؟ فهي في كل سنّة تُمثَّل وتُعاش وتُصاغ خلال إحياء (عاشوراء)، وقد شكلت في ذاكرة المجتمع الشيعي الذي أعطته السلوك المثالي نموذجًا للحياة السياسية ومجموعة من القيم الأخلاقية التي يجب إتباعها، وكل هذا من خلال شخص الإمام الحسين»، (*نزهة القلم*: ٣٩٥).

وللآشوريين رأيهم

وللآشوريين وهم من الأديان والأقوام القديمة على البسيطة رأيهم في الشهادة الحمراء في كربلاء، يعبر عنها ثلاثة أعلام روسيان وعراقي.

من العاصمة الروسية موسكو يحدثنا البروفيسور قسطنطين ماتفييف بيتروفيج (Kostantin Matveev Petrovic) المولود في مدينة فورونيز (Voronezh) على بعد ٥٠٠ كم جنوب موسكو عام ١٩٣٤ م، عن قراءته لواقعة كربلاء، بخاصة وقد عمل بحكم وظيفته الأكاديمية لأكثر من ثلاثة عقود في استقبال الطلبة من كل أنحاء العالم بما فيه العالم العربي يعرفهم على تاريخ روسيا ويتعرف على تاريخهم إذ كان يجيد العربية حيث عمل مدرسًا للعلوم الإسلامية واللغتين العربية والإنجليزية في معهد الصحافة بموسكو منذ عام ١٩٧٣م، فقد كتب وهو في معرض

التعليق على الجزء الأول من *ديوان الأبوذية* من دائرة المعارف الحسينية بعد أن استعرض جانبًا من وقائع المعركة في كربلاء: «وهكذا، فقد استشهد الإمام الحسين استشهاد الأبطال، وقد حدث ذلك في العاشر من محرم عام (٦٨٠ م)، وكان لمقتله بهذه الطريقة البشعة والبربرية النكراء، نتائج وآثار سياسية ودينية كبيرة على مسلمي العالم أجمع .. وأصبح مقتل الإمام الحسين بشكل دموي، لا لشيء إلا لأنه أراد أن يُرسي قواعد الحق والعدالة ويُعيد سيرة جده رسول الله، رمزًا لنضال المسلمين الشيعة في سبيل مستقبل واعد وخيّر، وهم يحافظون اليوم على مبادئ واسم الإمام الحسين بكل أمانة وثقة واعتزاز»، (*نزهة القلم*: ٢٠٤).

ويرى البروفيسور قسطنطين ماتفييف الذي لم يكل عن طلب العلم رغم كبر سنّه حيث زاملته الدراسة في كلية بيركبيك (Berkbick College) في جامعة لندن (University of London) في الفترة (١٩٩٥ -١٩٩٧ م) ونلنا معًا الدبلوم في الشريعة والتاريخ الإسلامي، وكان وقتها يرأس مؤسسة الآشوريين اللاجئين في بريطانيا، يرى: «ومن خلال الحسين ومأثرته، ظهرت عظمة شخصيته واتساع فكره الجهادي وذلك بتقديم نفسه وأهله قرابين لمصلحة الأمة الإسلامية والشيعة على وجه التحديد. ومنذ ذلك الوقت ولحد الآن يعتبر الشيعة الإمام الحسين المدافع الحقيقي عن الأمة، والإنسان الذي امتلك الإرث الإلهي والخصال المحمدية، والبعيد كل البعد عن أية طموحات سياسية، والساعي لإحياء

وإنهاض دين جده النبي محمد»، (*نزهة القلم*: ٢٠٤ -٢٠٥).

أما الدكتور دانيال بن إسحاق أوديشو (Dr. Daniel Isaac Odishu)، المولود في العراق عام ١٩٤٧ م والمتوفى في مدينة كارديف البريطانية عام ٢٠٠٢ م، وهو مسيحي آشوري نسطوري لا يختلف، وهو يكتب عن الإمام الحسين (ع) مقدمًا للجزء الثاني من *ديوان الأبوذية* من دائرة المعارف الحسينية، عن أي كاتب مسلم محب لأهل البيت عليهم السلام، فيراعه يسطّر بما يعتقده وإن كان على معتقد النبي عيسى (ع) بخاصة وأنه عاش شبابه في العراق واحتك بالشعائر الحسينية وعرف الإمام الحسين (ع) عن قرب فكتب يقول: «للإمام الحسين (ع) مكانة ومنزلة رفيعة لا يرقى إليها سوى منزلة ومكانة أبيه وأمه وأخيه الإمام الحسن (ع) والأئمة من ولده عليهم جميعًا أفضل الصلاة والسلام، ولو بذل المؤرخون المساعي المناسبة والجهد المطلوب لكتابة وتدوين أوليات ما يحظى به الإمام الحسين (ع) من مقام رفيع ومكانة سامية، لخرجوا بأسفار ضخمة في هذا المجال، فالقرآن الكريم (تلك الوثيقة الإلهية العظمى) الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه، يشهد عن الشوط البعيد الذي قطعه الإمام الحسين (ع) من درجات السمو والنبل الرفيعة عند الله سبحانه وتعالى، فهو واحد من أهل البيت النبوي الذين نزل في حقهم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ سورة الأحزاب: ٣٣، والآية الكريمة: ﴿قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ سورة الشورى: ٢٣، فمن خلال هذه الآيات

الكريمة تظهر مكانة الحسين (ع) وأهل البيت ومنزلتهم عند الله تعالى» (*نزهة القلم* ٣١٨ -٣١٩).

وبعد صفحات من الحديث عن السيرة الحسينية، من باحث آشوري نال الدكتوراه عام ١٩٩١ م من جامعة ويلز (University of Wales) عن أطروحته المعنونة: النقوش الآرامية في مدينة الحضر (العراقية) (The Aramaic of Hatra)، يصل إلى واقعة كربلاء وما جرى فيها فيكتب: «لقد استحالت صفحات جسده الطاهر كتابًا من دم، وكتبت أقدس مواقف البطولة والشرف، حيث قرئت تلك الحروف الجراح فكانت ٦٧ حرفًا، ثلاثًا وثلاثين طعنة رمح، وأربعًا وثلاثين ضربة سيف، ومنذ ذلك اليوم ولمدة أربعة عشر قرنًا نظم الشعراء القوافي وراحوا يرثون الحسين ويندبونه، وأجمل ما في هذا الأشعار، المراثي التي تُتلى في ذكرى استشهاد الحسين (ع) سنويًا في مدينة كربلاء» (*نزهة القلم*: ٣٢٩)، وهذه إشارة لما ورد في *تاريخ الأمم والملوك* للطبري: ٤/٣٤٤: «كان عدد جراح الحسين ثلاثًا وثلاثين طعنة رمح وأربعًا وثلاثين ضربة سيف».

ومن العراق ننتقل إلى موسكو ثانية حيث يكتب الأديب والرسام والمترجم والإعلامي الآشوري المولود في مدينة أرومية الإيرانية سنة ١٩١٨ م والمتوفى في موسكو عام ٢٠٠١ م الباحث مارونا بن بنيامين أرسانيس (Marona Benjamin Arsanis) وهو يقدم للجزء الثالث من *ديوان الأبوذية* من دائرة المعارف الحسينية، يكتب وهو يعلق على ما يشاهده من تقديس الأدباء والشعراء

للإمام الحسين وتضحياته: «ولاشك أنه (الحسين) قدوة في سبيل ترسيخ المبادئ الحقَّة، فنهض لإنقاذ المظلوم من يد الظلم والجور» (*نزهة القلم*: ٣٤٩).

وللهندوس نظرتهم

إذا اشتهر على الألسن عن المهاتما غاندي (١٨٦٩ - ١٩٤٨ م) قوله: «تعلمت من الحسين كيف أكون مظلومًا فأنتصر»، فإن الدكتور رام روشن جي بن لالجي كمار (١٩١٥ - ٢٠٠٦ م) المولود في دلهي والمتوفى في لاهور، وهو أديب هندوسي خبير بالتاريخ الإجتماعي والأدبي لشبه القارة الهندية، كتب وهو يقدم للجزء الأول من كتاب *معجم المصنفات الحسينية* من دائرة المعارف الحسينية: «أنا لست بمسلم ولكنني مسلم، أنا مسلم للحسين (ع)، مسلم للأمام العظيم الذي أرانا طريق الإنسانية وأرشدنا الطريق الذي يوصلنا إلى منزل الحرية حيث قال لأعدائه: إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحرارًا في دنياكم» (*نزهة القلم*: ٢٧٣).

ويعبر الدكتور لالجي كمار صاحب كتاب *تاريخ الهند* عن قناعته التامة: «إن الإمام الحسين (ع) كان إنسانًا صادقًا صالحًا وطاهر القلب، إنسانًا كاملاً، ورهن كل حياته للإنسانية وفدى نفسه لأجلها، ولو لم تكن تضحيته في صحراء كربلاء ما كنا نعرف للإنسانية معنى، ولذلك نستطيع أن نقول أنه محسن للإنسانية، ومادامت هذه الدنيا باقية فسيبقى ذكر الإمام الحسين (ع) حيًّا ولا يموت، بل وكل إنسان في العالم البشري يؤمن بقيادته الفذّة» (*نزهة القلم*: ٢٧٣ -٢٧٤).

القضية الحسينية..

عمق إسلامي وتطلعات إنسانية

محمد حسين فضل الله *

• نحن أحيانًا نصغّر القضيّة الحسينيّة لندخلها في زنازين ذاتياتنا • لا نستطيع أن نذكر كربلاء دون أن نذكر بدرًا وأحُدًا والأحزاب وحنينًا • كانت الأمة كلّ همّ الحسين • لقد حوّلنا الخرافة إلى ما يشبه الحقيقة • المسألة أن يبقى الصمود وتبقى العزّة.

القضية الحسينيّة: هل نكبرُ بها، وبالآفاق الّتي انطلقت فيها في مدى الزّمن، وفي الرّوح الّتي انبعثت منها في مدى الإنسان، وفي الفكر الّذي انطلق منها في مدى الإبداع؟! هل نكبر بها لنخرجها من دائرة الزَّمن المحدود لنحرّكها في الأبعاد المترامية، أو أنّنا نصغّرها لندخلها في كلِّ زنازين ذاتيَّاتنا وطائفيَّاتنا وكلّ أساليب الضَّعف الّتي فرضت نفسها على العقل والقلب والحركة والحياة؟!

* - من محاضرة ألقاها سماحته رضوان الله تعالى عليه في السابع من محرم ١٤٢٣هـ / ٢٣ آذار ٢٠٠٢م.

...هل نكبر بها؟ وإذا أردنا أن نكبر بها، فإنَّ علينا أن لا نفصلها عن جذورها، لنجعلها مجرَّد حادثةٍ مفصولةٍ عن حركة الإسلام في الواقع، بحيث تغيب المسيرة الإسلاميَّة في كلِّ خطوطها ومفاهيمها وحركيَّتها وانفتاحها على الإنسان، وبحيث لا نربطها بالحركيَّة الّتي صنعت ذلك المجتمع، وأرادت أن تقتحمه لتبعد المأساة عنه وعن الّذين صنعوا المأساة.

عاشوراء امتداد لحركة الرّسول(ص):

ولذلك، فإنّني أخشى أن أقول إنّنا أدخلناها في ذاتيّاتنا، فدخلنا في الذّات ولم ندخل في القضيّة، لم ندرسها بعمق، ولم نتزوّد منها للمستقبل، فالقضيّة الحسينيّة هي قضيّة ذات أبعاد ثقافيّة، تحرّك السياسة في امتدادات الثّقافة، وتحرّك الجهاد في وعي الإسلام، والقضيّة هذه كانت نتيجةً طبيعيّةً للتّراكمات الّتي عاشها المجتمع الإسلاميّ في كلّ انحرافاته، وفي كلّ ما دخل فيه من هنا وهناك. لذلك كانت كربلاء فرعًا من أصل، وجزءًا من كلّ، لن نستطيع أن نذكرها إن لم نذكر بدرًا وأُحُدًا والأحزاب وحنينًا وكلّ ما صنعه المجتمع المشرك في مواجهة رسول الله(ص) والإسلام في مكّة، وما فرض عليه من أوضاعٍ لم يستطع الرّسول(ص) من خلالها أن يمدّ حركته وإسلامه.

عليّ(ع) رسالة وعيٍ متحرّك:

كلّ هذه الأوضاع تراكمت عبر الزّمن، وتحوّلت إلى رواسب

نتيجةً لهذا التّراكم، ولذلك، لم يعد بإمكاننا أن نفصل كربلاء عن كلّ مأساة عليّ(ع)، ومأساته هنا ليست في أنّه ضُرِبَ في المحراب، فهي أقلّ أنواع مأساته، ولكنّ مأساته كانت في هذا العنفوان الكبير، والقمّة العليا من العلم والإبداع وحركيّة الفكر، ومواكبة امتداد الإنسان في مدى الأجيال، حتّى يشعر كلّ جيلٍ بأنّ عليًّا(ع) معه في حضوره الثّقافيّ والرّوحيّ، وفي كلّ أبعاده الإنسانيّة. لذا نحن لا نستطيع أن نفصل كربلاء عن عليّ في كلّ مأساته، وعن عليّ في كلّ صبره، هذا الصّبر الّذي لم ينطلق من عجزٍ في الحركة، ولكن من وعيٍ للقضيّة.

وهذا ما يتجلّى في حركة الإنسان الرّساليّ، الّذي يمتلك القدرة على الاقتحام بالمعنى المادّيّ، ليسقط هذا أو ذاك ممن يقفون في طريقه، ولكنّه عندما ينظر إلى الرّسالة، ويرى أنّ هذا الاقتحام المادّيّ في بعض المراحل سوف يسيء إلى الرّسالة، فإنّه يصبر ويتأمّل ويفكّر، ويعطي المنهج ويخطّط للمستقبل بكلّ رويّةٍ وتأنٍّ.

وهكذا كان عليّ(ع): «قد يرى الحوّل القلّب» الّذين يملكون تحويل الأمور في عناصرها الذاتيّة والموضوعيّة وتقليبها، «وجه الحيلة» والقدرة على تحريكها في كلّ لعبة، سواء كانت لعبةً اجتماعيّةً أو سياسيّةً أو ما إلى ذلك، «فيدعها رأي عين»، وهو يراها في معرفةٍ تنفذ إلى عمق الأشياء بأبعادها السلبيّة والإيجابيّة، «وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدّين».

كانت مشكلة عليّ(ع)، أنّه لم يحمل الذّات في طموحات عقله، ولكنّه حمل الرّسالة في كيانه كلّه، وهكذا كان عندما انطلق وهو يقول: «واللّه ما معاوية بأدهى منّي»، في رسالةٍ إلى الّذين لم يفهموه، وما أكثر المتفلسفة والسياسيّين الّذين لم يفهموه، والّذين كانوا يقولون إنّ عليًّا لا يفهم السّياسة، ومعاوية أكثر دهاءً منه وسياسةً، فيردّ عليهم بالقول إنّ السّياسة ليست لعبةً يتقاذفها الأطفال ككرةٍ في أقدامهم، ولكنّ السّياسة رسالة تخطّط للإنسان كيف تتعمّق إنسانيّته، وكيف تطهر وتسمو وتنمو وتعطي للحياة معنىً، وتعطي للمستقبل خطّة، كان يقول: «واللّه ما معاوية بأدهى منّي، ولكنّه يغدر ويفجر»، عندما يحقّق له الغدر والفجور ما يريد استهدافه، «ولولا كراهية الغدر لكنت من أدهى النّاس». وكان لسان حال عليّ(ع) يقول إنّني الوفيّ دائمًا، لأنّني رأيت الوفاء توأم الصّدق، وإذا كنت صادقًا، فلا يمكن إلا أن أكون وفيًّا، لأنّ الّذين يغدرون هم أولئك الّذين لا يعرفون ما معنى الحقّ، وما معنى الإنسان في وعي الحقّ.

إنّ الّذي يخرج الفكرة من أعماق الأعماق في خطّ الخير، قادر على أن يحرّك الفكرة في كلّ الآفاق في خطّ الشّرّ، ولكنّ دونها حاجزًا من أمر اللّه ونهيه يمنعه من التقدّم، لأنّ الرّسالة لا بدَّ من أن تتقدّم، ويقف القائد يحدّق بها ويرعاها وينمّيها بعناصرها.

وهكذا كانت مأساته، «**إنَّ ها هنا لعلمًا جمًّا لو وجدت له حَمَلَة**»، حيث كان يريد من خلال هذا العلم أن يثقّف الأمَّة، إذ

كان يعتبر أنَّ العقل عندما ينفتح على الثّقافة، فإنّ الفكر ينطلق بالحقّ مثقّفًا، وعندما ينفتح القلب عليها، تنطلق العاطفة بالحقّ مثقّفةً، وعندما تنفتح الحياة عليها، تنطلق الخطوات المثقّفة، عندما تجاهد ثقافيًّا في الحرب، وعندما تجاهد سياسيًّا في الواقع، لأنّ قصّة أن تكون المجاهد، هي أن يكون عقلك في وعي الجهاد للقضيّة، ووعي القضيّة للجهاد.

مأساة الحسين(ع) كمأساة أبيه:

تلك كانت مأساة عليّ(ع)، وقد عاش(ع) في كلِّ كيان الحسين(ع)، فكان عقله وقلبه ومأساته عقل الحسين(ع) وقلبه ومأساته، ونحن نعرف من خلال خطاب الإمام الحسين(ع)، أنّه كان خطاب الأمّة: «**خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي**»، كانت الأمّة كلّ همّه، كما كانت الأمّة همّ جدّه وأبيه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وأراد للأمَّة أن تتجدَّد بحركيَّة بناء المعروف في واقعها، وطرد المنكر من ساحاتها، كانت هذه هي القضيَّة، ولذلك كانت آلام الحسين(ع) كآلام أبيه، كان يتألّم لكلِّ هؤلاء الّذين قيل له عنهم: «إنَّ قلوبهم معك وسيوفهم عليك».

وكان الحسين(ع) يتألّم، كيف تكون نبضات القلب ضعيفةً، بحيث إنّها لا تعطي السّاعد وعي السّيف الّذي يضرب به، ووعي المعركة الّتي يخوضها. وقيمة القلب أنّه يتكامل مع العقل، العقل يعطي الفكر، والقلب يعطي الإحساس والشّعور

والنّبضة الإنسانيّة من أجل أن تنطلق النّبضات في خطّ الفكر، ولكن عندما تنحرف مسيرة القلوب، يبقى الفكر مجرّد معادلةٍ في التّجريد، وينطلق القلب في اتجاهٍ آخر، فيحلّق الفكر في الفضاء، ويتمرَّغ القلب في الأوحال، لأنّ الدّماء الّتي تضخّ في القلب هي دماء مليئة بكلّ ما يثقل القلب ويحجب عنه وضوح الرّؤية، فيحبّ من أبغض الله، ويبغض من أحبّ الله. ولذلك، فإنّ القصّة ليست في أنّ الإنسان قلب وعقل فقط، بل هو وحدة يتحرّك فيها العقل مع القلب، لتنطلق الطّاقات في الاتّجاه السّليم.

إنّ ما نريده هو أن نكبُر بعاشوراء، فلا نرى فيها مجرّد قيادةٍ تنزف الدّماء منها، دماء الكارثة ودماء المصيبة، ودماء الجسد، ولكنَّنا نريدها أن تكون قضيّةً، فنتمثّل الشّخص وجه القضيّة وروح القضيَّة، لا أن ننفذ إلى الشّخص وننسى القضيّة، وهذا ما نفعله الآن، والزّمن في مسيرته قطع الأجيال ووصل إلينا، فأصبحت المسألة كيف نبكي الحسين(ع) بالتّاريخ أكثر مما نبكي الإسلام في الواقع، وأصبحت المسألة هي كيف نبكي هؤلاء الّذين استشهدوا مع الحسين(ع) قبل أن نبكي المجتمع الّذي يتخبّط في واقعنا.

عزّة الحسين(ع) وصموده

إنّنا عندما نستمع إلى أكثر مجالس العزاء في العالم الإسلاميّ، فماذا نجد؟ نجد أنّ المسألة هي كيف نستنزف الدّمعة حتّى بالخرافات، لقد حوّلنا الخرافة إلى ما يشبه الحقيقة الّتي ندخلها في عقول الأجيال على أنّها هي التّاريخ، والتّاريخ لا

علاقة له بها، لا من قريب ولا من بعيد، فرأينا عاطفةً بدويّةً تبحث عن الإثارة، ولم نجد عاطفةً حضاريّةً تبحث عن دراسة المأساة في عناصرها الواقعيّة في السّاحة. إنّنا ونحن نستمع، وأنتم تستمعون إلى كلّ ما يقرأه القارئون، هل نجد صورة الحسين(ع)؟ «لا واللّه، ما رأيت مكسورًا قطّ قد قتل ولده وأهل بيته وصحبه، أربط جأشًا منه، وإن كانت الرّجّالة لتشدّ عليه، فيشدّ عليها بسيفه، فتنكشف عنه انكشاف المعزى إذا شدّ فيها الذّئب»، «لا واللّه لا أعطيكم بيدي إعطاء الذّليل، ولا أقرّ لكم إقرار العبيد، ألا وإنّ الدّعيّ ابن الدّعيّ قد ركز بين اثنتين، بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة». أين هذه الصّورة وكلّ الصّور الّتي تجعل الحسين(ع) يبكي جازعًا هنا وجازعًا هناك، فيصوّرونه تارةً يبكي «وا عليّاه» «وقاسماه»، وتارةً يجعلونه يرمي نفسه بين الشّهيدين ويبكي، أو يأتي إلى النّساء ليبكين. هل هذا هو الحسين(ع) الّذي قال لأخته زينب(ع) عندما فاضت عاطفتها بين يديه في جلسة خاصّة: «إذا أنا متّ فلا تخمشي عليّ وجهًا، ولا تشقّي عليّ جيبًا، ولا تدعي بالويل والثّبور»، كان يقول لكلّ من بقي، لا تشمتوا بنا الأعداء، لكي يبقى الموقف متماسكًا حتّى في الشّكل، لأنّ الأعداء كانوا يستهدفون إسقاط معنويّة هذا الجيش الرّساليّ الّذي يعيش فيه الطّفل والشّابّ والمرأة والشّيخ روحيّة الرّسالة، كانت القضيّة أن تسقط الرّسالة في نفوسهم أمام تأثيرات المأساة.

ولذلك كانت المسألة هي أن يبقى الصّمود، أن تبقى العزّة، ونحن نعرف أنّ السّقوط أمام المأساة لا علاقة له بالعزّة، ولكن الطّريقة التي تثار فيها قضيّة الإمام الحسين(ع)، يصوَّر فيها كأيّ ثاكلٍ يقف في ثكله أمام ولده أو ابن أخيه أو ما إلى ذلك.

الحسين بن علي

برؤية حضارية

• ذكرى العاشر من محرّم تشكّل قمة شامخة من قمم المواقف الإسلامية المشرّفة • ذكرى كربلاء الحسين درس ضروري وهام لأمتنا • الاهتمام الإسلامي بهذا المقطع التاريخي يستطيع أن يحيي روح «العزّة» في نفوس المسلمين • الإسلاميون الذين ارتفعوا عن الحالة الطائفية توجّهوا نحو هذه الصفحات المضيئة من تاريخنا • سيد قطب: ما من شهيد في الأرض تهتزّ له الجوانح بالحبّ والعطف، وتهفو له القلوب، وتجيش بالغيرة والفداء كالحسين رضوان الله عليه .

يمرّ علينا شهر محرّم، ويوم عاشوراء، وذكرى كربلاء، وترتسم أمام الأعين مرة أخرى صفحة من أنصع صفحات تاريخنا الإسلامي.

ذكرى العاشر من محرّم سنة ٦١هـ رغم كلّ ما فيها من مآس وفجائع، وما اشتملت عليه من صور انحطاط النفس الإنسانية وبيع الضمير والقسوة والوحشيّة في جبهة قَتَلَة الحسين بن علي

(عليه السلام)، تشكّل قمة شامخة من قمم المواقف الإسلامية المشرّفة الرامية إلى تسجيل المثل الأعلى في السموّ الإنساني، والصمود على طريق المبدأ، وإباء الضيم والطغيان، والتضحية بكل غال ونفيس في سبيل تحقيق رضا اللّه سبحانه، وفي سبيل انتشال الأمة من حالة الذل والهوان والاستسلام.

ذكرى كربلاء الحسين درس ضروري وهام لأمتنا تحتاجه دائمًا، خاصة حين تتفاقم ظروف الإذلال والاستسلام. وهذا الدرس يجب أن يدخل في وجدان الأمّة ويختلط بمشاعرها وأحاسيسها، وذاك مالا تستطيع الكتب والمقالات وحدها أن تفعله. لابدّ من استخدام الأدب والفنّ. ولابُدّ من اهتمام تربوي وإعلاميّ وشعبي واسع، وهذا غير شائع مع الأسف على النحو المطلوب على صعيد عالمنا الإسلامي.

الاهتمام الإسلامي بهذا المقطع التاريخي الهام، وإحياؤه إحياءًا يدخل في الوجدان الشعبي، يستطيع أن يحيي روح «العزّة» في نفوس المسلمين، ويستطيع أن يعبّأ عواطف الأمة المسلمة في اتجاه رفض الخضوع للظلم والاستسلام للطغاة والمتجبرين. وبذلك يسهم في استنهاض الأمة وفي استعادة حركتها الحضارية.

لا يجوز أن تبقى ذكرى الحسين حيّة لدن طائفة من المسلمين دون غيرهم. لابد من إحيائها على الصعيد الإسلامي. عندئذ ستكون وسيلة «تقريب» بل توحيد لعواطف الأمة وأفكارها واهتماماتها وتطلّعاتها.

الإسلاميون الذين ارتفعوا عن الحالة الطائفية توجّهوا نحو هذه الصفحات المضيئة من تاريخنا، واستلهموا منها العِبَر والدروس، ومنهم «سيد قطب» رضوان الله تعالى عليه. فهو حين يقف عند معنى النصر في قوله سبحانه: ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾ . يضرب مثلا من تاريخ الأنبياء بإبراهيم (عليه السلام)وهو يُلقى في النار فلا يرجع عن عقيدته ولا الدعوة إليها، فهو في موقف نصر لا هزيمة.

ويضرب مثلا من تاريخنا الإسلامي بالحسين «**وهو يُستشهد في تلك الصور العظيمة من جانب، المفجعة من جانب. أكانت هذه نصرًا أم هزيمة؟ في الصورة الظاهرة وبالمقياس الصغير كانت هزيمة. فأما في الحقيقة الخالصة وبالمقياس الكبير فقد كانت نصرًا. فما من شهيد في الأرض تهتزّ له الجوانح بالحبّ والعطف، وتهفو له القلوب، وتجيش بالغيرة والفداء كالحسين رضوان الله عليه. يستوي في هذا المتشيّعون وغير المتشيعين، من المسلمين. وكثير من غير المسلمين!**». (سيد قطب، في ظلال القرآن)

ولنقف عند نصوص من تاريخ ثورة الحسين لنتبين أهدافَ النهضة وأبعادها الإحيائية الحضارية:

أنا أحقّ من غيّر

قال الحسين (ع): «أيّها الناس إنّ رسول الله، (صلى الله عليه وآله وسلّم) قال: (من رأى سلطانًا جائرًا مستحلاً لحرم الله ناكثًا

لعهد الله مخالفاً لسنة رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلّم) يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغيّر ما عليه بفعل ولا قول كان حقًّا على الله أن يدخله مدخله) ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلّوا حرام الله وحرّموا حلاله، وأنا أحَقّ من غيّر، وقد أتتني كتبكم ورسلكم ببيعتكم، وأنّكم لا تسلموني ولا تخذلوني، فإن أقمتم على بيعتكم تصيبوا رشدكم، وأنا الحسين بن علي بن فاطمة بنت رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلّم) نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهلكم، فلكم فيّ أسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدي وخلعتم بيعتي فلعمري ماهي لكم بنكير، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمّي مسلم بن عقيل، والمغرور من اغترّ بكم، فحظّكم أخطأتم، ونصيبكم ضيّعتم: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ وسيغني الله عنكم، والسلام» .

كفى بك ذلاً أن تُرغما

وقال الحسين(ع): أبالموت تخوّفني؟ وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني؟ وما أدري ما أقول لك! ولكني أقول كما قال أخو الأوسيّ لابن عمّه وهو يريد نُصرة رسول الله(صلّى الله عليه وآله وسلّم) فقال له: أين تذهب؟ فإنّك مقتول! فقال:

سأمضي وماباالموتِ عارٌ على الفتى إذا ما نَوى خيرًا وجاهدَ مسلما

وواسَى رجـــالاً صالحينَ بنفسِـهِ وخالـفَ مثبـورًا وفارق مجـــرما
فإنْ عشتُ لم أندَمْ وإنْ متُّ لم أُلَمْ كفى بـك ذلاً أن تعيشَ وتُرغما

أذنت لكم جميعًا فانطلقوا

وقال (ع) : «أثني على الله أحسن الثناء وأحمده على السراء والضرّاء، اللهم إنّي أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوة وجعلت لنا أسماعًا وأبصارًا وأفئدة وعلمتنا القرآن وفقّهتنا في الدين فاجعلنا لك من الشاكرين، أمّا بعد فإنّي لا أعلم أصحابًا أوفى ولا خيرًا من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله جميعًا عني خيرًا، ألا وإنّي لأظنّ يومنا من هؤلاء الأعداء غدًا، وإنّي قد أذنتُ لكم جميعًا فانطلقوا في حلّ ليس عليكم مني ذمام، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً وليأخذ كلّ رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي فجزاكم الله جميعًا، ثم تفرّقوا في البلاد في سوادكم ومدائنكم حتى يفرّج الله، فإنّ القوم يطلبونني ولو أصابوني لهوا عن طلب غيري».

فقال له إخوته وأبناؤه وأبناء إخوته وأبناء عبدالله بن جعفر: لِمَ نفعل هذا؟ لنبقى بعدك! لا أرانا الله ذلك أبدا! فقال الحسين: يا بني عَقيل حسبكم من القتل بمسلم، اذهبوا فقد أذنت لكم. قالوا: وما نقول للناس؟ نقول: تركنا شيخنا وسيّدنا وبني عمومتنا خير الأعمام ولم نرمِ معهم بسهم ولم نطعن معهم برمح ولم نضرب بسيف ولا ندري ما صنعوا؟ لا والله لا نفعل ولكنّا نفديك بأنفسنا

وأموالنا وأهلينا ونقاتل معك حتى نرد موردك، فقبّح الله العيش بعدك!

وقام إليه مسلم بن عوسجة الأسديّ فقال: أنحن نتخلّى عنك ولم نُعذر إلى الله في أداء حقّك؟ أما والله لا أفارقك حتى أكسر في صدورهم رمحي وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمه بيدي، والله لو لم يكن معي سلاحي لقذفتهم بالحجارة دونك حتى أموت معك. وتكلّم أصحابه بنحو هذا، فجزاهم الله خيرًا.

أنت ثقتي وعدّتي

وقال (ع): «اللهم أنت ثقتي في كلّ كرب ورجائي في كلّ شدّة، وأنت لي في كلّ أمر نزل بي ثقة وعدَّة، كم من همٍّ يضعف فيه الفؤاد وتقلّ فيه الحيلة ويخذل فيه الصديق ويشمت به العدوّ أنزلته بك وشكوته إليك رغبةً إليك عمّن سواك ففرّجته وكشفته وكفيتنيه، فأنتَ وليّ كل نعمة، وصاحب كل حسنة، ومنتهى كلّ رغبة».

إن وليّيَ الله

وقال (ع): «أيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوني حتى أعظكم بما يجب لكم عليّ وحتى أعتذر إليكم من مقدمي عليكم، فإن قبلتم عذري وصدَّقتم قولي وأنصفتموني كنتم بذلك أسعد ولم يكن لكم عليّ سبيل، وإن لم تقبلوا مني العذر ﴿ فَأَجْمِعُوا

أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنْظِرُونِ﴾ ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ ».

لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل

وقال(ع): «أما بعد فانسبوني فانظروا من أنا ثمّ راجعوا أنفسكم فعاتبوها وانظروا هل يصلح ويحلّ لكم قتلي وانتهاك حرمتي، ألست ابن بنت نبيّكم وابن وصيّه وابن عمّه، وأولى المؤمنين بالله والمصدّق لرسوله؟ أوَليس حمزة سيّد الشهداء عمّ أبي؟ أوَليس جعفر الشهيد الطيّار في الجنّة عمّي؟ أوَلم يبلغكم قول مستفيض [فيكم]: إنّ رسول الله(ص) قال لي ولأخي: أنتما سيّدا شباب أهل الجنة وقرة عين أهل السنة؟ فإن صدّقتموني بما أقول، وهو الحقّ، والله ما تعمّدت كذبًا مذ عَلِمت أن الله يمقت عليه [أهلَه]، وإن كذّبتموني فإن فيكم من إن سألتموه عن ذلك أخبركم، سلوا جابر بن عبدالله أو أبا سعيد أو سهل بن سعد أو زيد ابن أرقم أو أنسًا يخبروكم أنّهم سمعوه من رسول الله(صلى الله عليه وآله وسلم) أما في هذا حاجز يحجزكم عن سفك دمي؟»

فقال له شِمر: هو يعبد الله على حرف إن كان يدري ما يقول! فقال له حَبيب بن مظاهر: والله إنّي أراك تعبد الله على سبعين حرفًا، وإن الله قد طبع على قلبك فلا تدري ما تقول.

ثمّ قال الحسين: فإن كنتم في شك ممّا أقول أو تشكّون في أنّي ابن بنت نبيّكم؟ فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري منكم ولا من غيركم. أخبروني أتطلبوني بقتيل منكم قتلته، أو بمال لكم استهلكته، أو بقصاص من جراحة؟ فلم يكلّموه، فنادى: يا شبث بن ربعيّ! ويا حجّار بن أجبر! ويا قيس بن الأشعث! ويا زيد بن الحارث! ألم تكتبوا إليّ في القدوم عليكم؟ قالوا: لم نفعل. ثمّ قال: بلى فعلتم. ثم قال: أيّها الناس إذ كرهتموني فدعوني أنصرف إلى مأمني من الأرض.

فقال له قيس بن الأشعث: أولا تنزل على حكم ابن عمّك، يعني ابن زياد، فإنّك لن ترى إلاّ ما تحبّ. فقال له الحسين: أنت أخو أخيك، أتريد أن يطلبك بنوهاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل؟ لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل، ولا أقر إقرار العبيد. عباد الله إنّي عذت بربي وربكم أن ترجمون، أعوذ بربّي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب. ثم أناخ راحلته ونزل عنها».

الخصائص المميزة للثورة الإسلامية العظيمة التي جعلتها في أعين المحللين والخبراء ظاهرة فريدة في تاريخ القرون الأخيرة هي خصائص لم توجد في أية ثورة من الثورات الكبرى في العالم، لا في الثورة الفرنسية، ولا في الثورة البلشفية الروسية ولا في الثورات الصغيرة التي ظهرت تبعاً لهاتين الثورتين ومترسمة خطاهما.

الإمام الخامنئي

دور زينب

في المسيرة الحضارية

• الإسلام ركز في مفاهيمه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باعتباره الضمان اللازم لمقاومة المعوقات التي تظهر أمام المسيرة الحضارية • كان لابدّ من إجراء عملي كبير لإحداث هزّة نفسية في المجتمع، تُشعره بكرامته المهدورة وعزته الضائعة • أدت زينب ليلة الحادي عشر من محرم صلاة الشكر • الدرس الكبير العملي الذي قدمته زينب للأمة الإسلامية هو كيف يمكن تبديل حالة الذل إلى حالة العزّة والكرامة. • هذه الصلابة وعدم الإحساس بالضعف أفقدت صواب والي يزيد • حرصت زينب عليها السلام على صيانة روح العزّة لدى سبايا أهل البيت • من عناصر التربية القرآنية في تحقيق النصر الإيمان بالمستقبل • برزت شجاعتها ورباطة جأشها في دفاعها عن آل بيت النبوة أمام كلّ تهديد • الإسلام ربّى أبناءه كي لا يعرفوا للهزيمة معنى • أيّ جمال هذا الذي ينجلي لسليلة بيت النبوة ولا تراه العيون المحجوبة عن رؤية الجمال الحقيقي؟!!

جاءت الرسالة الإسلامية لتقدم منهج تحرير الإنسان من كل ما يعيقه عن الحركة على طريق كرامته.. تحريره من الجهل والخرافة وعبودية الطاغوت وعبودية الهوى ومن الخضوع والاستسلام لكل ما يريد للإنسان أن يكون ضعيفًا ذليلاً مقهورًا.

بهذا المنهج خلق الإسلام في المجموعة المسلمة طاقةً روحية والصبرَ على مواصلة المعاناة، وهذه الطاقة الروحية كانت وراء كل ما ظهر في التاريخ الإسلامي من فتوحات وعلوم وفنون وحضارة مشرقة.

الإسلام ركز في مفاهيمه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باعتباره الضمان اللازم لمقاومة المعوقات التي تظهر أمام المسيرة الحضارية، وهذا المبدأ يضع المسلمين أمام مسؤولية مواجهة هذه المعوقات وبذل الغالي والنفيس لإزالتها.

هذه المعوقات غالبًا ما تكون طبيعية ناتجة عن خصلة الطين الموجودة في البشر. وتكون هيّنة حين تبرز على الساحة الفردية، فتتوجّه دعوة الإسلام إلى هذا الفرد أو ذاك للهداية ولتقويم الاعوجاج، ومن ثم لدفع هذا الإنسان على مسيرة الكرامة والكمال. غير أنها تكون خطرة حين تتحوّل إلى عائق يقف أمام كل المسيرة الاجتماعية نحو الكرامة. فيصاب المجتمع بالذل، وتنتكس المسيرة برمّتها. من هنا فإن الرساليين ـ وهم الذين استعلوا بإيمانهم عن السقوط في أوحال الذلّ ـ يتحملون من

مسؤوليات التضحية بمقدار حجم الانحراف الهائل.

المجتمع الإسلامي بعد عصر الخلافة الراشدة مُني بسبب عوامل عديدة بهذه النكسة، وأوشكت حالة الذلّ أن تخيّم على المجتمع الإسلامي بعد أن أطبق عليها التخويف والتجويع والإرهاب في أفظع صوره.

من هنا كان لابدّ من إجراء عملي كبير لإحداث هزّة نفسية في المجتمع، تُشعره بكرامته المهدورة وعزته الضائعة، وكان الإمام الحسين عليه السلام يتحمل هذه المسؤولية باعتباره إمام ذلك المجتمع. (محمد مهدي شمس الدين، *ثورة الحسين*).

كل مواقف الحسين وحركاته وسكناته وكل ما قاله وخاطب به أصحابه وأهل بيته وما خاطب به الجيش القادم على قتاله يؤكد هذه الحقيقة.. حقيقة أنه قادم لإعادة الكرامة إلى المجتمع الإسلامي.

ليس حديثنا عن الحسين، بل عن عقيلة بني هاشم زينب بنت علي التي كان لها الدور الأكبر بعد الحسين في عملية إحياء المجتمع المسلم، فماذا كان دورها الرسالي في تحقيق هذا الهدف الكبير؟

لابدّ أن أذكر أولاً أنها كانت ـ في اعتقادي ـ مؤهّلة تمامًا لحمل هذا الدور. لا تتوفر لدينا وثائق كثيرة عن شخصيتها، ولكن ما ذكره لنا التاريخ من نتف عابرة هو كاف لمعرفة شخصية هذه المرأة وتأهّلها لهذا الدور. يكفي ما ذكره لنا

التاريخ أن هذه المرأة يخاطبها الحسين في أعظم وأصعب موقف، في ليلة الاستعداد للقتل والسبي.. في ليلة العاشر من محرم ويقول لها : **«يا أختاه لا تنسيني في نافلة الليل»**!!

إني أفهم من هذه العبارة شيئًا كثيرًا .. بعضه أستشعره دون أن أتمكن من بيانه، وبعضه يمكن بيانه، إنها عبارة تبين ارتفاع الأخ والأخت إلى مستوى يفوق بكثير الحالات التي تصيب الناس العاديين حين يواجهون موقفًا رهيبًا، تبين مدى ارتباط الأخوين بالهدف الكبير ومدى سموّهما في القرب الإلهي.

وثمة وثيقة أخرى بقيت خالدة عن هذه المرأة هي قولها عند وقوفها على جسد أخيها المدمى المقطع بالسيوف المحزوز الرأس.. وهو مشهد يهدّ الجبال ويضعف الأبطال، قولتها المشهورة:

«اللهم تقبل منّا هذا القربان»!! ومن الأفضل للإنسان أن يكفّ عن أي تعليق على هذا القول ويكتفي بما يُحدثه في النفس من عاصفة تحيّر العقول وتدهش النفوس!!

وثمة وثيقة ثالثة تبيّن تأهل هذه المرأة لمثل هذا الدور الرسالي ما ذكره المؤرخون أنها **أدت ليلة الحادي عشر من محرم صلاة الشكر**..

يا إلهي كفى على عظمتك شهيدًا أنك خلقت أمثال هؤلاء العظماء الذين لا تقاس بهم عظمة سماواتك وأرضك.!!!

وهل يمكن أن نقبل أمام هذه العظمة ما يصرّ بعضنا على روايته من ضعف وانهيار أصاب هذه المرأة الكبرى.. أنا على يقين

من أن روح الضعف والهزيمة التي مُنينا بها هي التي تجعلنا نصوّر زينب بما لا يليق بهذه المرأة العظيمة.

الدرس الكبير العملي الذي قدمته زينب للأمة الإسلامية هو كيف يمكن تبديل حالة الذل إلى حالة العزّة والكرامة.

والبديع في الأمر أن أسرها ساعدها في النهوض بهذا الدور الرسالي التاريخي.

لو كانت زينب عزيزة بإخوتها وأهل بيتها وعشيرتها وأصحابها لما استطاعت أن تؤدي هذه المهمة. ولكنها وقعت في ذلّ الأسر بعد أن فقدت إخوتها وأهل بيتها وحماتها، ولا شك أن الأسر ذلّ ما بعده ذلّ خاصة حين يكون بيد أناس ذبحوا ابن بنت رسول الله، وأحرقوا خيم عياله، ورضّوا أجساد القتلى بالخيل، ومارسوا ألوان الفظاظة والقسوة والدناءة.

ولكن دور زينب هو أنها حوّلت هذا الذل إلى عزّة وكرامة، وكأني بها قالت للمجتمع الذي خيّم عليه الذل: أنا امرأة وحيدة لا ناصر لي ولا مُعين حوّلت حالة الذلّ التي وقعتُ فيها إلى حالة عزّ فهل فيكم من بقايا كرامة ؟!

كيف مارست زينب هذا الدور الرسالي الكبير ؟

١ ـ عدم الشعور بالهزيمة :

وهذه صفة هامة لمن يتأهّل لتحويل الهزيمة إلى انتصار. لو بدا على زينب الانكسار أو الضعف والانهيار لما استطاعت أن تؤدي

مهمتها، لكنها في مواقفها كانت من القوة بحيث جعلت المؤرخين يتحدثون عن هذه المواقف. قال بشر بن خزيم الأسدي وهو يصف موقف زينب لدى خطبتها في الكوفة:«ونظرت إلى زينب بنت علي (عليها السلام) يومئذ فلم أر خَفرة أنطق منها كأنها تُفْرغ عن لسان أمير المؤمنين عليه السلام، وقد أومأت إلى الناس أن اسكتوا فارتدّت الأنفاس وسكتت الأجراس».

هذا الموقف يدل على أن صلابة شخصية زينب قد أثّرت في هذا الرجل كما أثرت في كل المخاطبين. يقول الراوي: «لقد رأيت الناس يومئذ حيارى يبكون وقد وضعوا أيديهم في أفواههم. ورأيت شيخًا واقفًا إلى جنبي يبكي حتى اخضلَّت لحيته وهو يقول: بأبي أنتم وأمي كهولكم خير الكهول وشبابكم خير الشباب ونساؤكم خير النساء ونسلكم خير نسل لا يُخزى ولا يبزى».

هذه الصلابة وعدم الإحساس بالضعف أفقدت صواب والي يزيد، عبيد الله بن زياد، فما بالك بالآخرين الحاضرين في مجلسه؟! حين أُدخل عيال الحسين على ابن زياد فدخلت زينب متنكرة وعليها أرذل ثيابها، فمضت حتى جلست ناحية من القصر، وحفّت بها النساء. فقال ابن زياد: مَنْ هذه التي انحازت فجلست ناحية ومعها نساؤها؟ فلم تجبه زينب، فأعاد ثانية وثالثة يسأل. فقالت بعض النساء: هذه زينب بنت رسول الله(ص).

لاحظوا عظمة الموقف: دخلت على أعتى مستكبر وأبشع قاتل وأفظع طاغية، فما التفتت إليه، ولا وقفت أمامه، ولا استأذنته في

الجلوس، بل أهملته وانحازت وجلست مع النساء في جانب من القصر، ثم لم تجب على سؤال الطاغية رغم أنه كرره ثلاثًا.

هذا يعني أنها لم تستشعر أيّ ضعف ولم يساورها أي شعور بالهزيمة.

٢ ـ المحافظة على روح العزّة :

حرصت زينب عليها السلام على صيانة روح العزّة لدى سبايا أهل البيت كي لا يستشعروا الذلة في أسرهم، ولكي يكونوا هم أيضًا صورة لمن يأبى أن يُذلّ.

في الرواية أن السبايا بالشام حين أُدخلوا في دار إلى جانب المسجد الأعظم كان من الطبيعي أن تزورهم النساء، فتجمّعن على باب هذا البيت للدخول على زينب، فخشيت زينب أن يساور نساء آل بيت النبوة نوع من الإحساس بالذلة أمام بقية النساء، فرفضت زينب دخول النساء عليها وقالت: «**لا تدخل علينا إلا مملوكة أو أُمّ وَلَد فإنهنّ سُبين كما سُبينا**».

لاحظ أنها سمحت لدخول نوع خاص من النساء يشاركن أهل بيت النبوة في الأحاسيس والمشاعر، دون بقية النساء اللاتي لا يحملن مثل هذا الإحساس والتاريخ المشترك.

وفي الرواية أن قافلة السبايا حين دخلت الكوفة قدّ م بعض أهل هذه المدينة تمرًا وخبزًا. فصاحت زينب: «**إن الصدقة حرام علينا أهل البيت**». فرمى كلّ واحد منهم ما في يده أو فمه رغم ما

كان يعانيه من جوع وراح يقول: لصاحبه: إن عمتي تقول إن الصدقة حرام علينا أهل البيت!!

بهذا الشكل جعلت هذه الأسرة الكريمة تستشعر عزتها وكرامتها في انتسابها لآل بيت رسول الله(ص).

٣ ـ الإيمان بالمستقبل :

من عناصر التربية القرآنية في تحقيق النصر الإيمان بالمستقبل، الإيمان بانتصار العدل على الظلم وانتصار الدم على السيف وانتصار المستضعفين على المستكبرين. هذا الإيمان كان راسخًا في نفس زينب وكان له الأثر الكبير في تحقيق هدفها الكبير.

في الرواية أنها رأت التأثر الكبير على علي بن الحسين وهو يستعرض ذكريات الواقعة الأليمة في كربلاء، ومشهد الأجساد المتناثرة على الرمضاء، فقالت له : «**مالي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأبي وإخوتي، فو الله إن هذا لعهد من الله إلى جدك وأبيك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس لا تعرفهم فراعنةُ هذه الأرض، وهم معروفون في أهل السماوات أنهم يجمعون هذه الأعضاء المقطعة والأجسام المضرجة فيوارونها وينصبون بهذا الطف علمًا لقبر أبيك سيد الشهداء، لمّا يُدرس أثره ولا يُمحى رسمه على مرور الليالي والأيام، وَلَيَجْتَهِدَنّ أئمة الكفر وأشياع الضلال في محوه وطمسه فلا يزداد أثره إلاّ علوّا**».

وبهذا الإيمان بمستقبل تسقط فيه دولة الظالمين تخاطب يزيد قائلة:

«فَكِدْ كيدَك واسعَ سعيَك، وناصبْ جُهدَك، فواللّه لا تمحو ذكرنا ولا تُميتُ وحينا، ولا تُدرك أمدَنا، ولا ترحَضُ (تغسل) عنك عارها، وهل رأيك إلا فَنَد، وأيامك إلا عَدَد، وجَمْعك إلا بَدَد، يوم ينادي المنادي ألا لعنة اللّه على الظالمين.

فالحمدُ للّه الذي خَتَم لأولنا بالسعادة والمغفرة، ولآخرنا بالشهادة والرحمة، ونسأل اللّه أن يكمل لهم الثواب ويوجب لهم المزيد ويحسن علينا الخلافة، إنه رحيم ودود، وحسبنا اللّه ونعم الوكيل».

٤ ـ الشجاعة :

وهي خصلة بارزة في مواقف السيدة زينب، وقد ورثتها عن أبيها، بل عن مدرسة أبيها وجدها، وهي مدرسة القرآن التي تعلّم الإنسان أن يخشى اللّه ولا يخشى سواه، تربّت على أن الحوادث مهما كانت جسيمة لا يهتز لها قلب، ولا يرتجف لها جسد، وعلى أن تستقبل الموت وتطلبه، ومن طلب الموت كُتبت له الحياة وكُتب له الخلود.

فهي تقف أمام طاغية زمانها لتقول له:

«ولئن جرّت عليّ الدواهي مخاطبتك إني لأستصغر قدرَك واستعظم تقريعَك، واستكبر توبيخَك، لكن العيون عبرى والصدور حرّى».

الطاغية المتفرعن أمامها لا يستحق حتى التقريع والتوبيخ، فهي

أكبر من أن تخاطبه بأي شيء حتى بالتقريع والتوبيخ.. أية شجاعة هذه؟!!

برزت شجاعتها ورباطة جأشها في دفاعها عن آل بيت النبوة أمام كلّ تهديد، فتتقلّها بين الخيام المشتعلة راكضة لتجمع الأطفال وتقيهم من النار والتشرّد موقف لا يصدر إلا عن امرأة لم تفقد السيطرة على نفسها حتى في ذلك الموقف الرهيب الذي يزلزل أعاظم الرجال.

وهكذا وقوفها مدافعة عن علي بن الحسين (عليه السلام) حين أمر ابن زياد أن تُضرَب عنقه، «**إذ تعلّقت به عمّته وقالت: يا ابن زياد حسبك من دمائنا. واعتنقته وقالت : والله لا أفارقه فإن قتلته فاقتلني معه**».

وموقفها من الرجل الذي طلب من يزيد أن يهب له فاطمة بنت الحسين باعتبارها جارية، إذ نهضت زينب وقالت: «**كذبت والله ولؤمت ما ذاك لك ولا له (أي ولا ليزيد)**».

فغضب يزيد وقال: كذبتِ إن ذلك لي ولو شئت أن أفعل لفعلت.

فأجابته العقيلة : «**كلاّ والله ما جعل الله لك ذلك إلاّ أن تخرج من ملتنا وتدين بغيرها**».

فاستشاط الطاغية غضبًا وقال:

إياي تستقبلين بهذا إنما خرج من الدين أبوك وأخوك.

فقالت له دون أن تؤثر فيها حدّة الخصم :

«**بدين اللّه ودين أبي ودين أخي اهتديت أنت وجدّك وأبوك لو كنت مسلمًا**».

فَقَدَ يزيد صوابه وصرخ : كذبت يا عدوّة اللّه.

فأجابته بما يُنهي هذا التصعيد بعد أن سجلت موقفها الشجاع وقالت: «**أنت أمير تشتم ظالمًا وتقهر بسلطانك**».

وتقول الرواية: فكأنه استحيا وسكت.

وتنتقل أخبار هذه المواقف إلى العالم الإسلامي وتتناقلها الأفواه التي أُلجمت، والألسن التي بُكمت باعتبارها ملاحم آل بيت رسول اللّه فتفعل فعلها في النفوس.

٥ ـ مفهوم النصر والهزيمة :

من العوامل الهامة التي تستطيع أن تحوّل الهزيمة إلى نصر والذلّ إلى عزّة ما يحمله الإنسان من مفهوم عن معنى النصر والهزيمة.

والإسلام ربّى أبناءه كي لا يعرفوا للهزيمة معنى، فهم ينالون على أي حال إحدى الحسنيين، وانحسار الحق لا يعني فشله وضعفه بل يعني تمحيص المؤمنين الصادقين، وانتفاش الباطل لا يعني انتصاره لأنه هو استدراج أهل الباطل كي يزدادوا إثمًا. هذه المفاهيم كانت زينب عليها السلام تبثها في المجتمع محاولة تصوير يزيد المنتصر في الظاهر على أنه المهزوم، وتصوير آل البيت

المنهزمين في الظاهر بأنهم المنتصرون.. المنتصرون بما نالوا من فوز الشهادة.. والمنتصرون على المدى البعيد حين تهدم دماؤهم عروش الطواغيت.

تقول (عليها السلام) مخاطبة يزيد :

«**أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء فأصبحنا نُساق كما تُساق الإماء أن بنا هوانًا على الله وبك عليه كرامة؟! وأن ذلك لِعَظم خَطَرك عنده ؟! فشمخت بأنفك، ونظرت في عِطفك جذلان مسرورًا، حيث رأيت الدنيا لك مستوسقة، والأمورَ متّسقة، وحيث صفا لك ملكنا وسلطاننا!!**

فمهلاً مهلا، لا تطش جهلا. أنسيت قول الله تعالى: ﴿ وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ».

وتقول مخاطبة ابن زياد حين قال لها: الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم.

تقول له : «**الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد(ص)، وطهّرنا من الرجس تطهيرًا. إنما يُفتضح الفاسق ويُكذَبُ الفاجر، وهو غيرنا والحمد لله**».

يعاود ابن زياد الطعن فيقول : كيف رأيتِ فعلَ الله بأهل بيتك؟

تجيبه بنفس تلك المفاهيم فتقول: «**كتب الله عليهم القتلَ فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتتحاجون وتتخاصمون عنده**».

وفي رواية أخرى هي الراجحة في رأيي أنها قالت:

«ما رأيت إلا جميلاً.. وسيجمع الله بينك وبينهم..»

نعم .. ما رأيت إلا جميلاً.. في هذه العبارة تتلخّص كل شخصية زينب بنت علي (عليهما السلام).. وكل نظرتها العرفانية إلى الأمور.

أيّ جمال هذا الذي ينجلي لسليلة بيت النبوة ولا تراه العيون المحجوبة عن رؤية الجمال الحقيقي في هذا الكون!!.. وأي جمال تستشعره هذه العارفة بالله ولا تحسّه القلوب القابعة في أكنّة الآثام والرذائل !!.

وفي عبارة أخرى تخاطب يزيد مؤكدة أن ما فعله فإنما هو قد أباد نفسه بنفسه تقول له :

«فوالله ما فَرَيت إلاّ جلدك، ولا هززت إلا لحمك .... ﴿ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يُرزقون﴾ ».

هذه المفاهيم بثتها زينب في المجتمع، وانتشرت وذاعت بفضل الدماء التي سُفكت في كربلاء، وكانت الشرارة التي أيقظت الناس من سباتهم العميق.

٦ ـ التبكيت :

حينما تكون الضمائر هامدة والنفوس رخوة والإرادة مهتزّة لا بدّ من التبكيت الشديد لتكون صَعْقة لاستثارة بقايا الحياة في

هذا الجسد واستنهاض بقايا الهمّة فيه.

القرآن مارس هذا التبكيت مع المهزومين والضعفاء والمترددين.

وزينب انطلاقًا من هذه المدرسة القرآنية خاطبت أهل الكوفة الذين التفّوا حول موكب الأسرى يبكون لهول الجريمة.. يبكون ولكن بكاء من فقد إرادته واستسلم للواقع السيئ.. ولا قيمة لهذا البكاء.. تخاطب زينب هؤلاء فتقول:

«يا أهل الكوفة، يا أهل الختل والغدر، أتبكون ؟! فلا رَقَأت الدمعة، ولا قُطعت الرنّة، إنما مثلكم كمثل التي نَقَضَت غزلها من بعد قوة أنكاثًا..

أتبكون وتنتحبون ؟! أي والله فابكوا كثيرًا واضحكوا قليلاً، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها ولن ترحضوها بغسل بعدها أبدًا ...

ويلكم يا أهل الكوفة أتدرون أيّ كبد لرسول الله فريتم؟! وأيّ كريمة له أبرزتم؟! وأي حرمة له انتهكتم ؟! »

ولا تقريع أكثر من أن يسمعوا بأنهم فَرَوا كبد رسول الله، وأبرزوا كرائمه وانتهكوا حُرَمَه.

وتخاطب يزيدَ فتستعرض ما نزل بآل بيت النبوة بصورة مؤثرة جدًا تحرّك حتى الضمائر الميتة فتقول:

«أمِنَ العدل يا ابن الطلقاء تخديرُك حرائرك وإمائك وسَوقُك بنات رسول الله سبايا، وقد هُتكت ستورهنّ وأُبديت وجوهُهُنَّ، تحدو بهنّ الأعداء من بلد إلى بلد، يستشرفهنَّ أهلُ المناهل

والمناقل، ويتصفّح وجوههنَّ القريب والبعيد والدنيء والشريف، ليس معهنَّ من حماتهنَّ حميّ، ولا من رجالهنَّ وليّ؟!!.

وكيف تُرجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأزكياء ونبت لحمه بدماء الشهداء ؟!»

بهذا النهج نهضت زينب عليها السلام بدورها التاريخي، فقد استنهضت الهمم وأيقظت العزائم، فانتفضت الأمة تطالب بكرامتها وتستعيد عزّتها، وبذلك تواصلت حركة التاريخ الإسلامي التي أوشكت أن تقف وتنتكس، وقدمت عطاءها على مرّ الزمن، ولا يزال هذا العطاء متواصلاً إلى يومنا هذا يؤتي أكله كل حين. غير أن المسيرة يعتريها دائمًا وبشكل طبيعي التلكّؤ بسبب العوامل المضادة، بل قد يعتريها الركود والخمود، لذلك فإنها بحاجة دائمًا إلى نهج زينب وصوت زينب ليدفع بالمسيرة إلى أهدافها المنشودة.

هذه الثورة قامت على أصول مستحكمة. وضعت نصب عينيها تطبيق العدالة وكذلك الحرية والاستقلال (وهي التي تشكل أهمّ القيم للشعوب) وأيضا المعنويات والأخلاقيات.

هذه الثورة تركيب من مشروع العدالة ومشروع التحرر ومشروع حاكمية الشعب والمعنوية والأخلاق. مع فارق طبعاً بين هذه العدالة والعدالة الموهومة المدّعاة التي أطلقها الشيوعيون في الاتحاد السوفيتي السابق والدول التابعة له.

الامام الخامنئي

الحسين بن علي
في الأدب الأندلسي

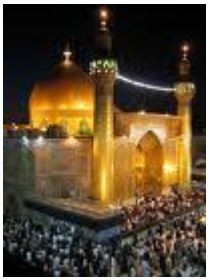

في الشعر

مما يروى من رثاء الحسين في الشعر الأندلسي قصيدتان لأبي عبدالله محمد بن مسعود بن أبي الخصال الشقوري (٤٦٥ - ٥٤٠هـ) مطلع أولاهما:

عرّج على الطفِّ إن فاتتك مكرمةٌ ... واذرِ الدموعَ بها سُحًّا وهُتّانا

وابكِ الحسيَن ومَنْ وافى منيّتَه ... في كربلاء مَضَوا مثنًى وَوِحدانا

ومطلع الثانية:

لهفَ نفسي على الحسينِ ومَنْ لي ... أن تقضّي حقوقَه عَبَراتي

يا جفوني برئتُ منكِ إذا لم ... تُغرقي في بُحورِها نظراتي

وشاعر أندلسي آخر هو أبو البحر صفوان بن إدريس التجيبي المرسي أكثر من تأبين الحسين(ع) وله في ذلك قصيدة مشهورة منها قوله:[1]

سلامٌ كأزهارِ الرُّبى يَتَنَسّم ... على منزلٍ منه الهدى يُتَعلّم

على مصرعٍ للفاطميين غُيّبت ... لأوجههم فيه بدورٌ وأنجمُ

على مشهدٍ لو كنتَ حاضرَ أهلِهِ ... لعاينتَ أعضاء النبي تُقَسّم

---

١ - حركة التشيع في المغرب ومظاهرها، عبداللطيف السعداني، نقلاً عن أعلام الاعلام، نسخة خطية ص ٣٧ - ٣٨، الحطيم، زمزم، حراء، يلملم: أماكن في الحرم المكي. ألا طربٌ يُلقى: يحثّ على ترك الطرب بعد فاجعة كربلاء.

على كربلا لا خلّفَ الغيثُ كربلا ... وإلاّ فإنّ الدمعَ أندى وأكرمُ

مصارعُ ضجّت يثربٌ لمصابها ... وناح عليهنّ الحطيمُ وزمزمُ

ومكةُ والأستارُ والركنُ والصفا ... وموقفُ جمعٍ والمقامُ المعظّمُ

وبالحَجَر الملثومِ عنوانُ حَسْرةٍ ... ألستَ تراه وهو أسودُ أسْحَمُ

وروضةُ مولانا النبّي محمدٍ ... تُبَدّي عليه الثكلَ يَومَ تَخَرّمُ

ومنبره العُلويّ للجذع أعْوَلا ... عليهم عويلاً بالضمائر يُفهم

ولو قَدّرت تلك الجماداتُ قدرَهم ... لدُكّ حَراء واستُطير يَلَملَمُ

وما قدرُ ما تبكي البلادُ وأهلُها ... لآل رسول الله والرزءُ أعظمُ

وأقبلت الزهراء قُدّسَ تُربُها ... تنادي أباها والمدامعُ تَسْجمُ

سقوا حَسَنًا للسُمّ كأسًا رَويّةً ... ولم يقرعوا سِنًا ولم يتندّموا

وهم قطعوا رأسَ الحسين بكربلا ... كأنهم قد أحسنوا حين أجرموا

أبي، وانتصر للسبطِ واذكر مُصَابه ... وغلّتَه والنهرُ ريّان مُفعَمُ

وأسرَ بنيه بعدَه واحتمالَهم ... كأنهُمُ مِنْ نَسلِ كسرى تُغُنّموا

ولكنّها أقدار ربٍّ بها قَضَى ... فلا يتخطّى النقضَ ما هو يُبَرمُ

قَضَى الله أن يَقْضي عليهم عبيدُهم ... لتشقى بهم تلك العبيدُ وتنقمُ

هُمُ القوم، أمّا سعيُهم فمغيّبٌ ... مُضاع وأمّا دارُهم فجهنّمُ

فيا أيها المغرور والله غاضبٌ ... لبنتَ رسول الله أينَ تَيَمَّمُ

ألا طربٌ يُقلَى ألا حزنُ يُصطفي ... ألا أدمعٌ تجري ألا قلبُ يُضرم

قفوا ساعدونا بالدموع فإنها ... لَتَصغر في حقّ الحسين ويَعظُمُ

ومهما سَمِعتم في الحسين مراثيًا ... تعبّر عن محضِ الأسى وتُترجم

فمدّوا أكفًا مُسعدين بدعوة ... وصلّوا على جسمِ الحسين وسلّموا

مما تقدم نرى أنّ الشعراء في هذا الموضوع يستحضرون تاريخ أهل البيت ابتداءًا من حادثة الغدير ومرورًا بسُمّ الحسن واستشهاد الحسين وفاجعة كربلاء. ثم يشيرون إلى ما في مدرسة أهل البيت من عدل ومقارعة للظالمين وإنصاف للمظلومين، ويركزون على مكانة هذا البيت في الإسلام.

وإذا استثنينا ما قيل من الشعر الشيعي في آل حمود (الأسرة العلوية التي حكمت في الأندلس) فإن بقية هذا الشعر لا يمكن أن يكون تقربًا من سلطان ولا طلبًا لفضول الحطام، وإنما هو صادر عن ولاء صادق لأهل بيت رسول الله، وعن تفاعل عميق مع ما حلّ بهذا البيت الكريم من مصائب، وما قدموه من تضحيات، ومن مثل أعلى في الخلق الكريم.

وثمة قرائن تدل على أن كثيرًا مما قيل في آل حمود كان صادرًا أيضًا عن عاطفة صادقة تجاه أهل البيت، وجدت فرصتها في التعبير عن نفسها في كنف آل حمود.

في النثر

وصف ابن جبير الرحالة الأندلسي في رحلته المعروفة المشاهد المباركة في القاهرة وفي مقدمتها مشهد رأس الحسين(ع) بأسلوب أدبي رائع ومما جاء في ذلك:

«فأول ما نبدأ بذكره منها الآثار والمشاهد المباركة، التي ببركتها يمسكها الله عزّوجل:

فمن ذلك المشهد العظيم الشأن الذي بمدينة القاهرة، حيث رأس الحسين ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، وهو في تابوت (صندوق) فضة مدفون تحت الأرض، قد بُني عليه بُنيان حفيل(جامع)، يقصر الوصف عنه، ولا يحيط الإدراك به، مجلَّل بأنواع الديباج، محفوف بأمثال العُمُد الكبار شمعًا أبيض، ومنه ما هو دون ذلك، قد وضع أكثرها في أتوار(قناديل) فضة خالصة، ومنها مذهبة، وعُلّقت عليه قناديل فضة، وحُفَّ أعلاه كلّه بأمثال التفافيح ذهبًا، في مصنع شبيه الروضة، يقيّد الأبصار حسنًا وجمالاً، فيه أنواع الرخام المجزَّع (فيه سواد وبياض) الغريب الصنعة، البديع الترصيع، مالا يتخيّله المتخيّلون ولا يلحق أدنى وصفه الواصفون. والمدخل إلى هذه الروضة على مسجد على مثالها في التأنق والغرابة، حيطانه كلّها رخام على الصفة المذكورة، وعن يمين الروضة المذكورة وشمالها بيتان، من كليهما المدخل إليها، وهما أيضا على تلك الصفة بعينها. والأستار البديعة الصنعة من الديباج معلّقة على الجميع.

ومن أعجب ما شاهدناه في دخولنا إلى هذا المسجد المبارك حجرٌ موضوع في الجدار الذي يستقبله الداخل، شديدُ السواد البصيص (البريق واللمعان)، يصف الأشخاص كلها كأنه المرآة الهندية الحديثة الصقل.

وشاهدنا من استلام الناس للقبر المبارك، وإحداقهم به، وانكبابهم عليه، وتمسّحهم بالكسوة التي عليه، وطوافهم

حوله، مزدحمين، داعين، باكين، متوسّلين إلى الله سبحانه وتعالى، ببركة التربة المقدسة، ومتضرّعين ما يذيب الأكباد، ويصدع الجماد. والأمر فيه أعظم، ومرأى الحال أهول، نفعنا الله ببركة ذلك المشهد الكريم. وإنما وقع الإلماع (الإشارة) بنبذة من صفته مستدلاً على ماوراء ذلك، إلا فلا ينبغي لعاقل أن يتصدى لوصفه، لأنه يقف موقف التقصير والعجز. وبالجملة فما أظن في الوجود كله مصنعًا أحفل منه، ولا مرأى من البناء أعجب ولا أبدع، قدّس الله العضو الكريم الذي فيه بمنّه وكرمه».

الإمام الخميني شرح أصول الثورة للشعب وللفئات الواعية قبل الانتصار، ثم أقام الجمهورية الإسلامية على هذه الأصول، والتزم بها بصرامة مدة حياته وجاهد من أجلها. لذلك كانت الجمهورية الإسلامية ظاهرة جديدة فريدة استطاعت أن تبعث الأمل في قلوب المجتمعات الإسلامية. كل شعوب العالم الإسلامي وخارج العالم الإسلامي أدركت أن هذه الظاهرة ليست تقليداً لما كانت تسمعه بارتياب من الأنظمة الشرقية والغربية. هذه ظاهرة جديدة تطفح بالحياة وقدرة التحرك الجديد. من هنا فإن قيام الجمهورية الإسلامية قد بعث في الشعوب المسلمة أملاً جديداً وآفاقاً جديدة للتحرك. ولا يزال مفعول هذه الولادة الإسلامية قائماً. على الرغم من أبواق الإعلام الاستكباري في أرجاء العالم ضد الجمهورية الإسلامية وما تمجّه من سموم وقذارات لا يزال الأمل الذي بعثته الجمهورية الإسلامية في قلوب المسلمين حياً، هاهم المثقفون المسلمون والشباب الواعي والأجيال الصاعدة في البلدان الإسلامية يضعون نصب أعينهم هذا المَعْلَم الطافح بالأمل والنور.

الامام الخامنئي

دُرَرُ السِّمط في خَبَرِ السِّبط
لابن الأبّار القضاعي

أبو عبد الله الله محمد بن عبدالله القضاعي. ولد في بلنسية من مدن الأندلس سنة ٥٩٥هـ ونشأ فيها. تلقّى العلم على شيوخ بلدته وألمّ بفنون كثيرة من العلم والأدب، وبرع في التأليف والتصنيف، واشتهر بشعر الاستصراخ، أي طلب النجدة لإنقاذ الأندلس (ومرّت بعض أشعاره في هذا الموضوع)، وله اهتمام خاص بحادث شهادة الحسين(ع) وواقعة الطف.

من أهمّ مؤلفاته في تاريخ الأندلس وأدبائها كتاب *التكملة* لكتاب *الصلة* (لابن بشكوال)، *والحلّة السيراء*. وفي الحسين بن علي: درر *السِّمْط في خبر السبط*، وكتاب: *معادن اللُّجين في مراثي الحسين*.

اشتغل ابن الأبار في ديوان الكتابة لوالي بلنسية، وحينما حاصر الإسبان مدينته ذهب ابن الأبار في وفد إلى سلطان تونس أبي زكريا يحيى مستنجدًا، وأنشد سينيته المعروفة، لكنّ النجدة وصلت متأخرة وسقطت بلنسية بيد المهاجمين سنة ٦٣٦هـ. وخرج ابن الأبار وأسرته منها إلى تونس. وساءت العلاقة بينه وبين المستنصر بن يحيى حاكم تونس بسبب دسّ الخصوم، فأمر بقتله، فقتل مظلومًا سنة ٦٥٨هـ.

ورسالته في الحسين ليست من قبيل السرد التاريخي، بل هي عرض أدبي يبيّن فيها الكاتب مشاعره بأسلوب جميل، يغلب عليه السجع، وتتخلّله أبيات من الشعر وآيات من القرآن، وفيه لوعة واستعبار.

جاء في الفصول ٢٧ - ٣٤ من الرسالة:[١]

«وكم رجا ابنُ مرجانة[٢] أن يجرّعُهُ المهانةَ: وتلك التّي تَستكُّ منها المسامِعُ[٣].

قال ابن الطاهرتين[٤]، أأنزل على حكم ابن مرجانة، متى سَلَفت أولى فَتُخلَف بثانية؟!

في مسلم وهاني زاجرٌ، فأنّى يؤمّن برًا فاجرٌ[٥].أي عبيدَ آلُ صخر![٦] جدّي سيّد ولد آدم ولا فَخر. أمِنّي تروم الدنيّة، كأنّي أهابُ المنيّة!؟

أكرّ على الكتيبـــة لا أبالـي أحَتْفِي كان فيها، أَمْ سِواها[٧]

جاء عنه أنه خطب في ذلك الخطب الجليل وزهّد في عيش كالمرعى الوبيل، وقال لا أُعطيكم بيدي إعطاء الذَّليلِ.

---

١ - درر السمط في خبر السبط، تحقيق عزالدين عمر موسَى.

٢ - أي عبيد الله بن زياد.

٣ - البيت للنابغة الذبياني .

٤ - الحسين بن فاطمة وخديجة.

٥ - أي لا يؤمّنُ ابنُ زياد الفاجرُ الحسينَ البرَّ.

٦ - عبيد آل أمية وأتباعهم .

٧ - البيت لعباس بن مرداس.

سأغسِل عنّي العارَ بالسّيف جالبًا عليَّ قضاءَ اللّه، ما كان جالبًا

ليرغَبَ المؤمنُ في لقاء اللّه، يحمَدُ معادَه، فإنّي لا أرى الموت إلاّ سعادة، ﴿وعجلت إليك ربّ لِترضى﴾.

هوّن قدرَ الدّنيا وصروفَها، وبيّن إقبالَ مُنكَرِها وإدبارَ مَعروفِها، ونادى فأسمعَ، وقد عزم طلاقَها وأزمع: «ألا ترون الحق لا يُعمَل به والباطل لا يُتَناهى عنه».

إلى ديّان يوم الدّين نمضي وعند اللّه تجتمعُ الخصوم

❖ ❖ ❖

أحبَّ السبط لما أعضل الداء وكثُرَ أولياءه الأعداء، أن يَجلُو الخفيّةَ والخبيّةَ ويبلُوَ ما عند فئة فيها بليّة، والكريم لا يُوالِسُ، ولا يُدالس[1]، فجمَعَهم وهُمْ أُزيد من سبعين رجّالة وفوارس، ثمَّ أذنَ لهم في الانطلاق وعدمِ التنفيس في الخناق، وقال لبني عقيل: حسبكم لمسلم تحمّلاً، وهذا الليل قد غَشِيَكم فاتّخذوه جَمَلاً.

فأبوا إلاّ نيلَ المرام، أو موتَ الكرام، ورأوا أنّ العيش بعدهُ عين الحرام.

إذا ما أعضَلَ الأمرُ دفعنا الشّرَ بالشّر

وما للحُرّ منجاةٌ كمثل السيف والصّبر

كان من جوابهم، إذ رخَّصَ في ذهابهم: لِمَ نَفعَلُ ذلك؟ لنبقى بعدك؟ الا واللّه حتّى نَرِدَ وِردَك.

---

١ - لا يخادع.

إن كان بُعدكُمُ في العيش لي إربٌ فــلا قضيــت إذًا مــن حبّكــم إربًا

بوركوا أشرافًا، ونصعوا أوصافًا، وأوسعوا سيدَهم إنصافًا.

أحيـــوا فــرادى ولكنهـــم علــى صحبة البيــن ماتوا جميعًا

عصبوا بأمره أمورَهم، وبذلوا دون نحره نحورَهم، مستحلّين من الحِمام، ومستوفين على غاية الكمال والتمام.

عـينيَ ابكـي بعـبرةٍ وعويـلِ وأنـدُبي إذ نـدبت آل الرسـول

ستّـةٌ كلهّم لُصلـــبِ عَلـيّ قـد أُصيبــوا وخمَسـةٌ لعقيلِ

❖ ❖ ❖

عاشرُ المحرَّم أُبيحت الحرمات، وأُفضيت على النور الظلمات، فتفاقم الحادثُ، وحَملَ على الطيبين الأخابثُ، وضُرب السبط على عاتقه ويسراه، وما أجرأ من أسالَ دَمَهُ وأجراهُ. ثمَّ قُتِلَ بعقب ذلك ذبحًا، يُبكي حتّى العاديات ضبحًا، أجزاء حائلةُ الحُلى[1]، وأشلاء كرُمنَ على البلى. ومال الغُواةُ على المتاع والثّياب، ونازعوا النّساء ما عليهن في النّهاب، إلى خدود خدّوها، وقدود قدّوها ومحارم استحلّوها وانتهكوها، وأكارمَ أبقوا جثثَهم وتركوها: جُزُرًا لخامعةٍ ونَسرٍ قَشْعَمٍ[2].

فيـاللّه من أيدٍ عادية، وأنفسٍ مُصادية[3]، فُصِلَت بالخُسران خَزايا، وحَمَلَت كرائمَ أظعانٍ سبايا.

---

١ - أي تغيّرت محاسنها.

٢ - شطر بيت لعنترة: والخامعة: الضبُع. والقشعم: النسر المسنّ.

٣ - أيد معتدية وأنفُسٍ ميتة.

فما في حريم بعدَها من تحرّج ولا هتكِ ستر بعدَها بمُحَرّم

باب الندبة هنا يحسُن، فدع ما يُسِرّ لما يُحْزِن.

أترجو أُمةٌ قتلت حسينًا شفاعةَ جدّه يومَ الحساب..

أعجبهم أن يتخبط غليلاً، قبل أن يتشحّط قتيلاً :﴿ إِنَّ هَـؤُلاء يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءهُمْ يَوْمًا ثَقِيلا﴾.

أتتهَب الأيامُ أفلاذَ أحمد وأفلاذ من عاداهم تتودَّد

ويضحى ويظمى أحمد وبناته وبنت زياد وِردُها لا يُصرّد

أفي دينه في أمنه في بلاده تضيق عليهم فسحةً تتوردُ

وما الدّين إلاّ دين جدّهم الذي به أصدروا في العالمين وأوردوا

❖ ❖ ❖

ومن نادر الاتفاق، السائر في الآفاق، أن قُتِلَ يومَ عاشوراء ابنُ زياد، وهي من خارقات الاعتياد، أوجده ابن الأشتر[1] فقده، حين ضربه في المعترك فقدّه، ثم أحرق جثّته الخبيثة، وأذهبَ عُبيّتَهُ[2] القديمة والحديثة. واتفاق آخر في ذلك المقام والأهوال لا يتأخر في الغرابة عن رتبة الأول، وهو أن أُدخِلَ برأسه على عليّ بن الحسين وهو يتغدّى، في أخذه بما كان يحيف ويتعدّى، فلمّا رآه، قال سبحان الله، ما اغترّ بالدّنيا إلا من ليس في عنقه نعمة. لقد أُدخل رأس أبي عبدالله(ع) على ابن زياد وهو يتغدّى أليس عجيبًا؟! إنّ ذا لَعَجيبُ.

---

١ - ابراهيم بن مالك الاشتر.

٢ - عُبيّته: أنفته وتكبّره.

هذا إلى وقعة جبّانة السبيع[1]، واشباه لها آحاد وجميع. وما كان الدّم الطّاهر ليذهب ويضيع، وكَفى بفعل عبدالصمد بن علي[2]، وقوله، في سَطوه بالأمويّة عند انقراضه وصَولِه:

ولقد شفى نفسي وأبرأ سُقمها أخذي بثأري من بني مروان
من آل حربٍ ليتَ شيخي شاهدٌ سفكي دماء بني أبي سُفيان

❖ ❖ ❖

وهَبِ الرّجال تُحزّ رؤوسُهم وتُبزّ نفوسهم، ما للنساء بالكوفة يُؤسَرن وإلى دمشق يُسيَّرن؟!!:

بناتُ زيادٍ في القصور مصونةٌ وآلُ رسول الله في الفَلَوات[3]

لا ينقضي العجب من يزيد يُعيّرُ عبيدَ الله حملَهنَّ على الأقتاب مسافرات، ويقعد هو وبطانته لرؤيتهنّ سافرات، بعد أن بعث بالرأس للبعيد والقريب، وعَبَثَ في قرعِ الأسنان بالقضيب: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾.

ومقبَّلٌ كان النبيّ بلَثمِهِ يَشفي غَرامَهْ
قَرَعَ ابنُ هند بالقضيـ ـبِ عذابَه فرطَ استضامَهْ
وأشادَ نغمتَه عليـ ـه وصبّ بالفضلات جامه
لَيُضَرّسَنَّ يدَ الندامةِ حين لا تغني النَدامَة

ومع قعوده لما اعتقده فتحًا، وعرضهنّ في الهيآت المتناهيات قبحًا، فقد دمعت عيناه الجَمُود وأقرّ بحقّهنّ وهو الجَحُود.

❖ ❖ ❖

---

١ - موضع بالكوفة قُتل فيه قَتَلة الحسين .

٢ - أمير هاشمي عباسي .

٣ - من تائية دعبل الخزاعي.

تمثل يزيد ورأس الحسين بين يديه، وقد أطال النّظر لو ازدجر واعتبر لديه:

تعلّق هامًا من رجال أعزةٍ علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلما

وقال: لعن الله ابن سميّة، لو كانت بينه وبينه رَحِم، ما فعل هذا: ﴿كَلاّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ، فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءلُونَ﴾.

أكثر به في الآفاق المدار، فأظهر مروان إليه البدار، يرتجز ما يَغيظُ الإيمان، ويقول: كأنّي أنظر إلى يوم عثمان[1]، لو ذكر حبسَ الحكَمَ بالطائف[2]، ما شَمَتَ بقتل الحسين بالطّف، ولم تخنقه في مصيبته عَبرة، فمات خنقًا وفي ذلك عبرة.

أيّها العادُل الذي بعذابي توكّلا
عِشْ صحيحًا مسلّمًا لا تعيّر فتُبتَلى

تناولته الأيمان وتناقلته الركبان، تسير به بل تسيل، فجثمان حيث الفرات وجمجمة حيث النيل[3].

يا بُعدَ مصرع جثّة من رأسها رأسٌ بمصرَ وجثّة بالرّخّج[4]

❖ ❖ ❖

أهانَ منه عبيدُ الله[5] الدّعي، ما أكرمَ عبيدُ الله[1] الشيعي،

---

١ - هذا قول مروان بن الحكم يشمت بقتل الحسين.

٢ - الحكم بن العاص أبو مروان نفاه رسول الله(ص) إلى الطائف.

٣ - يقصد مصر .

٤ - الرُخّج: قرية قرب بغداد.

٥ - ابن زياد .

فاعجَبَ لهذين السميّين كيف تفاوتا في النّزول والسّمو، وكأنّما تفاوضا في التسمّي بالوليّ والعدوّ، فأقدمَهُما أراقَ دَمَهُ بحربته، وأحدثهما نصر مَنْ زَعَمهُ في الكون من ذريته. ولمّا صار ملك مصر لأبنائه، جعلوا له مصنعًا[٢]، تأنّقوا في بنائه، فجاء للروضة نظيرًا، وبما أُشرب من ماء الذّهب نضيرًا، يقيّد الأبصار جمالاً، ويَدْلَهُ الأفكار جلالاً، قد أودع من الرّخام الغريب ما أودع، وكلّما أُعيدَ في ترصيعه وأُبدي أبدَعَ [٣].

وهنالك مسجد أُلبست المرمرَ حيطانُه، وفيه حَجَر يصفُ الأشخاصَ لمعانُه، داخلُهُ يبادر استلامه، قبل أن يقضي سلامه[٤]، ويرسل دموعه، بعدما يصل خشوعه، وقد علّقوا عليه ستور الدّيباج، وأنفوا لمصابيحه أن تُسرَجَ في الزّجاج، فهي من الفضّة البيضاء، كما صُفَّت أمواه الإضاء[٥]، تقديسًا لتلك الهامة، لا عدمت صوبَ الغمامة.

وقبلها بَنَى أبوهم المهديّةَ بالمغرب، وصارمُ صريمتِهِ غيرَ نابي المَضرب، ضارعًا بكلمته الخالدة في العوالم: اليوم آمنَتُ على الفواطم.

فقيل في تلك البنيّة ما أومأ للميتة الحسينيّة:

خطّت بأرجاء المغاربِ دارٌ دانت لها الأمصارُ والأقطارُ

---

١ - عبيدالله المهدي الفاطمي.

٢ - بناءًا.

٣ - قارن بما ذكره ابن جبير في وصف الروضة الشريفة.

٤ - أي قبل أن يسلّم يبدو وكأنه استلمه.

٥ - أي مياه البحيرة.

لاذت ببـرد الماء لـمَّـا أيقـنت أن القلـوبَ على الحسين حِرارُ

❖ ❖ ❖

أيّة فتنة عمياء، وداهية دهياء!! لا تقوم بها النوادب، ولا تبلغ معشارها النوائب. طاشت لها النُّهى وطارت، وأفلَتْ شُهُب الدُّجا وغارت، لولاها ما دخل ذلٌ على العرب، ولا أُلف صيدُ الصقر بالخَرَب، وقُصفَ النّبعُ بالغَرَب[1]، فانظر إلى ذوي الاستبصار، خُضّع الرّقاب نواكسِ الأبصار.

وإنّ قتيل الطّف من آل هاشم أذلّ رقاب المسلمين فذلَّتِ

ما سكَنَت سُكينة[2]، حتى أسمعت القوم، ما تجاوز التثريب واللّوم، إذ خرجوا لتوديعها ورغبوا في تشييعها، ومصعب بن الزّبير، بعلها، قد خذلَتَهُ الكوفة وأهلها: أيتمتموني صغيرةً، وأرملتموني كبيرةً.

❖ ❖ ❖

ويلَكَ يا قاتلَ الحسين لقد نؤتَ بحمل ينوءُ بالحاملِ
أي حباء حبوت أحمدَ في حُفرتِهِ من حرارةِ الثاكل
تعالَ فاطلب غَدًا شفاعَتهُ وانهض فَرِدْ حوضَه مَع الكاهلِ
ما الشك عندي في حال قاتله لكنني أشكُّ في الخاذل[3]

❖ ❖ ❖

---

١ - أمثال تضرب للشريف يعتدي عليه الوضيع والخَرَب : طائرُ الحبارى النبع: شجر في أعالي الجبال والغَرَب: شجر في الوديان.

٢ - سكينة بنت الحسين(ع).

٣ - الابيات للشاعر الشيعي منصور النمري.

ما عُذرُ الأموية وأبنائها، في قتل العلوية وأفنائها، ﴿أهم يقسمون رحمة ربك؟!﴾

كم من دليل في غاية الوضوح على أنهم كسفينة نوح، من ركب فيها نجا ومن تخلّف عنها غرقَ.

ثم يحبسهم آل الطليق، ويطردهم آل الطّريد: ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾...

من عصبة، ضاعت دماءمحمد(ص)

وبنيه، بين يزيدها وزيادها

كان الحسين يقطع اللّيل، تسبيحًا وقرآنًا، ويزيد يتلف العُمر تبريحًا وعدوانًا. «عمرك الله كيف يلتقيان»[1]. افتتح بكربلاء أمره، وختمه بعد ذلك بالحَرّة[2]، إنَّ هذا لهو البلاء المبين. انهبَ المدينةَ ثلاثًا، وقتل أهله كهولاً وأحداثًا ، ومالبث أن قتلهُ الجُدري ، وأدبر، ورأيه الدّبري[3]. ثم انكفأ ابنه عاجلاً وانقلب، وصار المُلك بعد أبي ليلي لمن غلب. قرضهم التسلّط في السلطان، واعتصر ما وَهَبَ لهم العصران:

ثمَّ صاروا كأنهّم ورقٌ جـ ـفٌ فألوت به الصّبا والدبورُ[4]

---

١ - انظر قصيدة ابن عربي في الإصفهانية.

٢ - هجوم جيش يزيد على مدينة رسول الله(ص).

٣ - هو الرأي بعد فوات الأوان.

٤ - الدبور: ريح تقابل ريح الصبا.

عاشوراء ...

محمد مهدي الجواهري

هـي الـنفس تـأبى ان تـذِلَّ وتُقهَـرا ... ترَىَ الموتَ من صبرٍ على الضيم أيسَرا

وتختارُ محمودًا من الذِكرِ خالدًا ... على العيش مذمومَ المغَبَة مُنكَـرا

مشى ابنُ عليٍ مِشيةَ الليث مُخدِرًا ... تحدَّته في الغاب الذئابُ فاصحَرا

وما كان كالمعطي قِيادًا محاولاً ... على حينَ عضّ القيدُ أن يتحررا

ولكـنْ أنَوفا أبصَـرَ الـذُّلَّ فـانثنى ... لأذيالـهِ عـن أن تُـلاَثَ مُشـمِّرا

تسـامىَ سموَّ الـنجم يـأبى لنفسـه ... علـى رغبـة الأدنَـينَ أن تتحـدَّرا

وقد حلفتْ بيضُ الظُبا أن تنوَشه ... وسمرُ القَنا الخطيِّ أن تتكسَرا

حدا الموتُ ظعنَ الهاشميينَ نابيًا ... بهـمْ عـن مقـرٍّ هـاشميٍ مُنَفَّـرا

وغُيِّـبَ عـن بطحـاء مكـة أزهَـرٌ ... أطلَّ على الطَف الحزينِ فأقمَرا

وآذَنَ نـورُ " البيـت " عنـد برحلـة ... وغاصَ النَدى منه فجفَّ وأقفرا

وطـاف بأرجـاء الجزيـرة طـائفٌ ... مـن الحـزن يـوحي خِيفـةً وتطيُّـرا

ومرّ على وادي القُرى ظِلُّ عـارضٍ ... من الشُؤْم لم يلبث بها أن تَمطَّرا

وسـاءَلَ كـلٌّ نفسَـهُ عـن ذُهولـه ... أفي يقَظةٍ قد كانَ أم كان في كَرى

وما انتفضوا إلا وركبُ ابنِ هاشمٍ ... عن الحج " يومَ الحج " يُعجله السُرى

أبـت سَـورةُ الأعـراب إلا وقيعـةً ... بها انتكَصَ الإسلام رَجْعًا إلى الوَرَا

ونـنُكِّسَ يـومَ الطـفّ تـاريخُ أمـة ... مشـى قبلَهـا ذا صـولةٍ متـبخِترا

فما كـان سهلاً قبلَها أخذُ موثق ... علـى عَرَبـيّ أن يقـولَ فيغـدِرا

ومـا زالـت الأضـغانُ بـابن أميَّـةٍ ... تراجِعُ منـه القَلـبَ حتـى تحجـرا

وحتى انبرى فاجتَثّ دوحةَ أحمدٍ ... مفرِّعـةَ الاغصـان وارفـةَ الـذرى

وغطَّى على الأبصار حقدٌ فلم تكن ... لتَجهَـدَ عـينٌ أن تَمُـدَّ وتُبصِـرا

وما كنتُ بالتفكير في أمر قتلهِ ... لازدادَ إلا دهشـــــةً وتحيُّـــــرا

فما كان بين القوم تنصبُّ كتبُهمُ ... عليـه انصـبابَ السـيل لما تحـدَّرا

تكشَّـفُ عـن أيـدٍ تُمَـدُّ لبيعـةٍ ... وأفئـدَةٍ قـد أوشـكَت أن تَقَطَّـرا

وبـينَ التخلّـي عنـه شِـلوًا ممزَّقـا ... سـوى أن تجـيءَ المـاءَ خِمـسٌ وتُصـدِرا

تـولى يزيـدٌ دَفَّـةَ الحكـم فـانطوى ... على الجمر من قد كانَ بالحكم أجَدرا

بنـو هاشـمٍ رهـطُ الـنبيِّ وفـيهُمُ ... ترَعـرَع هـذا الـدينُ غَرسًـا فـاثمَرا

ومـا طـال عهـدٌ مـن رسـالة أحَمـدٍ ... ومـا زالَ عـودُ الملك رّيـانَ اخضَـرا

وفـيهِمْ حسـينٌ قِبلـةُ النـاس أصـيدٌ ... إذا ما مَشَى والصِيدُ فاتَ وغبَّرا

وغاض الزبيريين ان يبصِروا الفتَى ... قليـلَ الحِجـى فـيهم أميـرًا مُـؤمَّرا

ففـي كـل دارٍ نَـدوة وتجمُّـعٌ ... لأمـر يُهـم القـومَ أن يُتـدَّبرا

وقـد بُثَّت الأرصـادُ في كـل وِجهـةٍ ... تخـوف منهـا ان تُسَـرَّ وتُجهَـرا

وخَفُّـوا لبيـت المـال يستنهضـونَهُ ... وكـان على فضِّ المشاكل أقدَرا

وقد أدرك العُقْبى مَعاوي وانجلَتْ ... لعينيـه أعقـابُ الامـور تَبصُـرّا

وقـد كـان أدرىَ بابنـه وخصـومِه ... وأدرى بانَ الصَيدَ أجمعُ في الفرا

وكـان يزيـدٌ بـالخمور وعصـرِها ... من الحكم ملتَفَّ الوشائج أبصَرا

وكـــانَ عليـــه أن يشُـــدَّ بعَزمـــه ... قُوَى الأمـر منهـا أن يَجدَّ ويسْهَرا

فشـمَّر للأمـرِ الجليـلِ ولم يكـن ... كـثيرًا علـى مـا رامَـه ان يشـمِّرا

ولكنَّـه الشـيءُ الـذي لا معـوِّض ... يعـوِّضُ عنـــه إن تـــولَّى وأدبَـــرا

وقلَّبهـا مـن كـل وجـه فسـرَّه ... بـأن راءَهـا ممـا توَّقـع أيسَـرا

فـريقينِ دينيًـا ضـعيفًا ومُحنَقًـا ... ينفِّسُ عنه المالُ ما الحِقد أوغرا

وبينهمـا صِـنفٌ هـو المـوتُ عينُـهُ ... وان كـانَ معـدودًا أقـلَّ وأنـزَرا

ومامـاتَ حتـى بـيَّن الحـزمَ لابنـه ... كتابٌ حوى رأسًا حكيمًا مفكرا

وأبلَغَـــه أنْ قـــد تَتَبَّـــع جهـــدَه ... مـواطنَ ضَـعفِ النـاقمين فخـدَّرا

وإن حســـينًا عثـــرةٌ في طريقـــه ... فمـا اسـطاعَ فليسـتغنِ ان يتعثَّـرا

وأوصـــاه شـــرًّا بـــالزبيريِّ منـــذرِا ... وأوصـاه خـيرًا بالحسَـين فأعـذَرا

لـــوَ ان ابـــن ميســـونٍ أرادَ هدايـــةً ... ولكـــن غَـــوِيٌّ راقَـــهُ أن يُغـــرِّرا

وراح " عبيـدُ الله " يغتـلُّ ضـعفَه ... وصُـحبَتهُ ، حتـى امتطـاه فسـيَّرا

نشـا نشـأةَ المستضـعفينَ مرجيًـا ... مـن الـدهر أن يُعطيـه خَمـرًا وميسِـرا

وأن يـــتراءى قـــرده متقـــدِّمًا ... يجـيءُ علـى الفُرسـان أم متـأخِّرا

وأغـراه حُبًّـا بالأخيطـلِ شـعرُهُ ... لـو اسـطاعَ نَصـرانيةً لتنصَّـرا

وقد كان بين الحزنِ والبشر وجهُه ... عشـيّةَ وافـاه البشـيرُ فبشَّـرا

تـردَّى علـى كـره رداءَ خِلافـةٍ ... ولم يُلـقِ عنـه بعـدُ للخمـرِ مِئـزرا

وشـقَّ عليـه أن يصـوِّر نفسَـه ... على غير ما قد عُوِّدَت أن تُصوَّرا

وأن يُبتَلى بـالأمرِ والنهـيِ مُكرَهـا ... وان يَجمـع الضِـدَّين سُـكرًا ومِنبَـرا

إذا سَـلِمت كـأسٌ يُـروِّحُ مُغبّقًـا ... عليه بها الساقي ويغدو مبكِّرا

وغنَّتهُ مـن شـعر " الاخيطـلِ " قَينَـةٌ ... وطارَحَهـا فيهـا المُغنّـي فـأبهَرا

فكـلُّ أمـور المسـلمينَ بسـاعةٍ ... من المجلِسِ الزاهي تُباع وتُشتَرى

وشاعَتْ له في مجلِس الخمر فَلْتَةٌ ... من الشعر لم تستثنِ بعثًا ومحشرا

وقد كانَ سَهلاً عندَه أن يقولَها ... وقد كان سهلاً عنده أن يُكفَّرا

على أنه بالرَغم من سَقَطاته ... وقد جاءه نَعيُ الحسين تأثَّرا

فما كان إلا مثلَ قاطعِ كفِّة ... بأُخرى ، ولما ثَابَ رشْدٌ تَحسَّرا

وأحسَب لولا أنَّ بُعدَ مسافة ... زَوَت عنه ما لاقَى الحسين تأثَّرا

فما كان إلا مثلَ قاطعِ كفِّة ... بأُخرى ، ولما ثابَ رشْدٌ تَحسَّرا

وأحسَب لولا أنَّ بُعدَ مسافة ... زَوَت عنه ما لاقَى الحسينُ وما جرَىَ

ولولا ذُحولٌ قدمت في معاشِرٍ ... تقاضَوا بها في الطَفِّ دينًا تأخَّرا

لزُعزِع يومُ الطف عن مُستقَرِّه ... وغُيِّرَ من تاريخه فتَطَوَّرا

أقول لأقوامٍ مضّوا في مُصابه ... يسومونه التحريفَ حتى تغيَّرا

دعوا رَوعةَ التاريخ تأخذْ مَحَلَّها ... ولا تجهدوا آياتِه أن تُحوَّرا

وخلوا لسانَ الدهر ينطقْ فإنّه ... بليغٌ إذا ما حاولَ النطقَ عَبَّرا

المقاومة في الأدب العرفاني

• العرفاء في خطابهم الأدبي استثاروا أشواق السموّ والكمال في نفس الإنسان • العرفان بعبارة موجزة هو الحركة نحو الله عن معرفة وفهم لمسؤولية الإنسان في الحياة • إن الحركة نحو الله ليست حركة جغرافية، وإنما هي حركة نحو الكامل المطلق • العرفان ارتفع صوته في أشدّ الظروف تأزمًا وفي أحلك فترات حياة الأمة • المقاومة عند ابن عربي نجدها في استنهاض العزيمة • نجد أدب الدعوة إلى إحياء الشعور مقرونًا دائمًا بالدعوة إلى المقاومة • أسرة الأمير تنتمي إلى الطريقة القادرية وهذه التربية العرفانية جعلته من أشهر المقاومين المسلمين في القرن الثالث عشر الهجري .

العرفان الحقيقي هو أن يعرف الإنسان نفسه وموقعه من الكون والحياة والخالق وأخيه الإنسان.

بهذه المعرفة يرتفع الإنسان عن الانشداد بتوافه الأمور، ويتجه نحو مثله الأعلى السامي في الحياة.

وبذلك يقاوم كل عوامل الضعف والهزيمة والاستسلام في

نفسه وفي مجتمعه.

والعرفاء في خطابهم الأدبي استثاروا أشواق السموّ والكمال في نفس الإنسان، ودعوا البشرية إلى التخلّص من ذاتياتها وأنانياتها، واستخدموا رمز الخمرة لهذا التخلّص، كما دعوا إلى العشق باعتباره النار التي تضطرم في نفس الإنسان وتجعله لا يهدأ ولا يستقرّ ولا يخلد إلى الراحة والبطر ولا يركن إلى الذين ظلموا ليعيش على فتات موائدهم.

وهذه الدعوة هي أساس كل مقاومة حقيقية صادقة مخلصة في الحياة.

❖ ❖ ❖

العرفان بعبارة موجزة هو الحركة نحو الله عن معرفة وفهم لمسؤولية الإنسان في الحياة. هذه الحركة تتطلب أول ما تتطلب الخروج من سجن الذات. فالإنسان الذي يعيش لمتطلبات ذاته من أهواء وشهوات ومن تلبية لدوافع الحرص والطمع والحسد، إنما هو حبيس ذاته لا يتحرك على طريق كماله.

وبالمناسبة لابدّ أن نذكر أن الحركة نحو الله ليست حركة جغرافية، وإنما هي حركة نحو الكامل المطلق، والحركة نحوه تعني التقدم على طريق كل صفات الكمال والجلال، من علم وقوّة وجمال وعزّة ورحمة ورأفة و... غيرها من صفات ربّ العالمين.

وإذا كان العرفان يبدأ بالخروج من سجن الذات، فإنه يبدأ بنموّ الإنسان في جميع المجالات المعنوية والماديّة، والنموّ هو المظهر

الأوّل للحياة.. والحياة لابدّ أن تقترن بالمقاومة. فالجسم الحي إذا فقد المقاومة مات، والمجتمع الحيّ إذا فقد المقاومة هان وذلّ وتمزّق وتشتت.

العرفان ارتفع صوته في أشدّ الظروف تأزمًا وفي أحلك فترات حياة الأمة، فبعث فيها حركة وصان عزّتها وكرامتها من الانهيار.

واضح أننا في حديثنا عن العرفان لا نقصد ذلك العرفان أو التصوف «الخانقاهي» كما يسمّى، الذي اتجه بفعل حالة التخلف الاجتماعي إلى حصر العرفان في خانقاهات أو زوايا أو تكايا لينشغل جماعة في الذكر دون أن يكون لهم أي تأثير على الواقع الاجتماعي، إن لم يساهم في تكريس التخلف والانحراف.

حديثنا عن عرفان ابن عربي وجلال الدين الرومي وحافظ وسعدي والخميني وأمثالهم.

هؤلاء هم الذين نجد عندهم العرفان الحقيقي، ثم المقاومة الحقيقية.

المقاومة عند ابن عربي

محمد بن علي بن عربي (٥٦٠ – ٦٣٨) ولد في مدينة «مرسية» بالأندلس. اتجه إلى المشرق الثانية والثلاثين من عمره لأداء فريضة الحج، ولم يَعُد بعدها إلى الأندلس، وزار الشام إبان الاحتلال الصليبي لبعض أجزائه. فرفع صوته ضدّ المحتلين. وأهمّ مؤلفاته

الفتوحات المكية، ألفه خلال ٤٠ سنة ، ويجمع كلّ آرائه. ومن آثاره الأدبية: ديوانه، وترجمان الأشواق.

والمقاومة عند ابن عربي نجدها في استنهاض العزيمة مثل قوله: (الديوان/ ٣٣٣).

إذا فُلَّ سيفي لم تُفَلَّ عزائمي فلي عزمات شاحذات صوارمي
والاّ فسل عنّا القنا هل وَفَت لنا وأسيافَنا يومًا بقدر عزائمي
لنا الجودُ إذ كُنّا سلالةَ حاتمٍ ومازال مُذ قُلدتُّهُ في تمائمي

فسيفه إذا فُلَّ أي إذا كُسِرَ حَدُّه فعزيمته لم تُفَلّ أي لم تضعف ولأن عزمَه يشحذ صارمه، أي يعيده إلى قوّته ونشاطه، وإذا لم تصدّق فاسأل السيوف والرماح هل ارتفعت إلى مستوى ما يحمله من عزيمة؟ أي إن عزيمته كانت أقوى وأكبر من السيوف والرماح.

ثم يتحدث عن الجود، فقد كان مرافقًا له بالوراثة منذ طفولته.

والحديث عن الشجاعة والجود هو دعوة إلى الخروج من الذاتية الضيقة ومقاومة الخوف والضعف والبخل في ذات الإنسان.

وابن عربي رائد إثارة الأشواق نحو الجمال، والإنسان إذا كان حبيس ذاته لا يرى الجمال، واستثارة الشوق إلى الجمال هو استثارة الشوق إلى الحياة، وكل دعوة إلى الحياة تتضمن دعوة إلى مقاومة عوامل الفناء.

ولذلك نجد أدب الدعوة إلى إحياء الشعور مقرونًا دائمًا بالدعوة

إلى المقاومة، بمن فيهم المعاصرون. انظر مثلاً شاعر تونس الكبير الشابي، فهو يقرن دعوته: «عش بالشعور» (أغاني الحياة/١٨٤) بقوله: «إذا الشعب يومًا أراد الحياة» (الديوان/٢٣١).

وابن عربي في «ترجمان الأشواق» يثير الأشواق نحو الجمال المطلق ليحيي الأجسام الهامدة والمشاعر المتبلّدة في جميع أشعار الديوان، من مثل قصيدة: (ترجمان الاشواق/٧٨).

مرضي من مريضَةِ الأجفان عَلّلاني بذكرها علّلاني..
طال شوقي لطَفلَة ذاتِ نثرٍ ونظام ومنبر وبيان
من بنات الملوك من دارِ فرسٍ من أجلّ البلاد من إصفهان

ويظهر أن ابن عربي متأثر أدبيًا بالمتنبي فهو ينحو منحاه في الهمّة والعزيمة، وكذلك ينحو منحاه في الغزل.

فالمتنبي يقول: (الديوان/٢٥٠)

بأبي الشموس الجانحات غواربا اللابسات من الحرير جلابيا
الناهبات قلوبنا وعقولنا وجنا تهنّ الناهبات الناهبا..

وابن عربي يقول: (ترجمان الاشواق/ ١٢٣).

بأبي الغصون المائلات عواطفا العاطفات على الخدود سوالفا
المرسلات من الشّعور غدائرًا اللينات معاقدًا ومعاطفا

المقاومة عند الأمير عبد القادر الجزائري

الأمير عبدالقادر بن محيي الدين الجزائري (١٢٢٢ - ١٣٠٠ هـ) يعتبر من المتأخرين، لكننا نذكره بعد ابن عربي، لما كان

يحمله الأمير من مشاعر تجاه الشيخ ابن عربي، مما أدى إلى دفنه في الصالحية بدمشق جوار الشيخ (الامير عبد القادر وأدبه/٦٣).

ومعروف أن أسرة الأمير تنتمي إلى الطريقة القادرية وهي طريقة معروفة في العرفان (م.ن/ ١١)، وهذه التربية العرفانية جعلته من أشهر المقاومين المسلمين في القرن الثالث عشر الهجري. قاد معارك التحرير مقابل الجيوش الفرنسية الغازية في حصن فيليب (م.ن/ص ٢٢) وفي معركة «سيق» ومعركة «المقطع» (م.ن/ ص ٤٢). مما أجبر فرنسا على عقد معاهدة «تافنا» مع الأمير سنة ١٢٥٤ (م.ن. /ص ٤٣).

ولم يكن الأمير في هذه الحروب قائدًا فحسب، بل كان محاربًا، ولم يكن يحتمي بالجيش، بل ـ كما يقول ـ كان الجيش يحتمي به. يقول: (الديوان/ ٣٧)

ومن عادة السادات بالجيش تحتمي

وبي يحتمي جيشي وتُحرَسُ أبطالي

وبي تُتقى يومَ الطعانِ فوارسٌ

تخالينهم في الحربِ أمثالَ أشبالِ

إذا ما اشتكت خيلي الجراحَ تحمحمًا

أقول لها: صبرًا كصبري وإجمالي

وهذه الروح المقاومة الصامدة يستشعر بها الأمير لأنه عزيز في كنف الله، وجميلٌ بتقوى الله. يقول: (الديوان/ ٣٠)

بعليائنا يعلو الفخار وإن يكن

به قد سما قومٌ، ونالوا به نصرا

وبالله أضحى عزّنا وجمالُنا

بتقوى وعلم والتزوّد للأخرى

ومن رام إذلالاً لنا قلت: حسبنا

إله الورى والجدُّ.. أنعم به ذُخرا

والأمير هذا لم يغفل عن الغزل لأثارة أشواق الجمال في مخاطبيه، بل لإثارة مشاعر الحياة في أمته يقول مثلاً: (الديوان/٥٧)

ألا مَنْ مُنصفي من ظبي قفرٍ لقد أضحتْ مراتِعهُ فؤادي

ومن عجبٍ تهابُ الأسدُ بطشي ويمنعُني غَزالٌ عن مرادي

وماذا غير أنّ له جمالاً تملّك مهجتي ملك السوادِ

وسلطان الجمال له اعتزازٌ على ذي الخيلِ والرجلِ الجوادِ

الفتوة في التراث الفارسي

سعدي الشيرازي نموذجًا

• كبار الصوفية ذهبوا إلى أن التصوف للخواص والفتوّة لعامة الناس • الأدب الفارسي يغلب عليه طابع التصوّف أو العرفان • ما كان هجوم المغول إلاّ بعد أن توفّرت في المسلمين قابليّة الغزو • سعدي العاشق شعره طافح بمعاني «الفتوة» • نرى في «فتوت نامه سلطاني» إشارتين صريحتين إلى انتساب سعدي إلى أصحاب الفتوة من جماعة «السقائين» • كل من يمتهن السقاية عاشقًا لشهداء كربلاء فهو متابع وموافق للعباس بن علي(ع) • امتهان سعدي للسقاية لم يكن من باب الكسب والحصول على المال • السقاية كانت من «الفتوة» وترمز هذه المهنة إلى إغاثة اللهفان وإرواء الصديان، وخدمة بني الإنسان .

الفتوة في المؤلفات الفارسية

حول الفتوة في إيران كتبت فصول ومؤلفات مستقلة بالعربية وبالفارسية، وتداخلت الكتابات عن التصوف والفتوّة. وكبار الصوفية ذهبوا إلى أن التصوف للخواص والفتوّة لعامة الناس (سعيد نفيسي/ ١٥٠). وفي الفارسيّة اشتهرت خمسة مؤلفات باسم

«فتوت نامه» أو كتاب الفتوّة هي:

١ – فتوت نامه لنجم الدين أبي بكر محمد بن مودود الظاهري التبريزي المعروف بنجم الدين زركوب المتوفى سنة ٧١٢هـ .

٢ - فتوت نامه لكمال الدين عبدالرزاق الكاشاني المتوفى سنة ٧٣٠ أو ٧٣٥ هـ .

٣ - فتوت نامه لعلاء الدولة ركن الدين أبي المكارم محمد بن شرف الدين بن محمد بيابانكي (٦٥٩ – ٧٣٦هـ).

٤ - فتوت نامه لامير سيد علي بن شهاب الدين بن مير سيد محمد الحسيني الهمداني (٧١٣ – ٧٨٦هـ).

٥ - فتوت نامه سلطاني لكمال الدين أو معين الدين حسين بن علي الكاشفي البيهقي الهروي الواعظ المعروف بالملا حسين الكاشفي المتوفى في ٩١٠هـ . وهو أوسع مؤلف في بابه.

الأدب الفارسي يغلب عليه طابع التصوّف أو العرفان ولذلك يكاد كل شعراء الفارسية يتناولون الفتوة في أبيات أو قصائد مستقلة ومن أشهر من نظم في الفتوة فريد الدين العطار النيشابوري العارف الإيراني المشهور وله فتوت نامه تشتمل على ٨٢٢ بيتًا.

وملخص ما جاء في جميع هذه المؤلفات كما يذكر هنري كوربن هو «إن صاحب الفتوة يتحرك نحو الله ويعمل في سبيل الله (لله وفي الله) والفتى المعنوي هو الذي وصل إلى مرحلة حبّ

الله (صاحب الولاية)، ويتحرك ويعمل في سبيل الله وعلى طريق الله وبحول الله.

إنه مثل إبراهيم يحمل من الله رسالة الهداية إلى الناس، ويبدأ من المراحل البسيطة للفتوة، ويتدرج ليصل إلى المراحل العليا التي هي حق اليقين». (كوربن / ٢٧).

وبتلخيص آخر: «إن كل نصوص (كتب الفتوة) تؤكد على أن الفتوة إحياء للفطرة في خلوصها وجلالها الأولي» (كوربن/٩٧).

سعدي الشيرازي والفتوة

سعدي رجل ظهر في القرن السابع الهجري (ولد سنة ٦٠٦هـ) بمدينة شيراز من بلاد فارس، يتحدث بلغة تستولي على العقول والقلوب بنثرها وشعرها، وجدَ الناسُ فيه ضالتهم التي تنشدها فطرتهم الإنسانية، في وقت تكالبت فيه الظروف السيئة على العالم الإسلامى لتؤدي إلى هجوم المغول وسقوط الخلافة العباسية. وما كان هجوم المغول إلاّ بعد أن توفّرت في المسلمين قابليّة الغزو، فقد تفشّت أمراض النزاعات الداخلية والجهل، وأدى كل ذلك إلى غياب الأهداف الكبرى والمثل العليا في المجتمع، وما ينجم عن ذلك عادة من حرص وطمع وذلّ واختلال في القيم.

وسعدي رأى ما رآه الآخرون من أمراض عصره، ولكنه لم يقف أمامها موقف الخاضع العاجز المستسلم الذي يبرّرها بأسباب غيبيّة ويعزوها إلى القضاء والقدر، بل نظر إليها نظر طبيب قادر

على أن يشخّص أسباب هذه الأمراض ويهبّ لعلاجها.

بدأ شرف الدين مصلح بن عبد الله سعدي الشيرازي أول حركته في انتقاله من الطريقة التقليدية السائدة في عصره لتعلّم الدين إلى طريقة العاشقين في فهم الدين والحياة والمجتمع، والعاشق له معناه الكبير لدى العارفين، فهو المتحرّك الذي لا يقرّ له قرار، يشدّه الجمال نحو هدف سام كبير، ويجعله مستعدًا لتقديم ألوان التضحيات في سبيل هذا الهدف. يشير إلى هذا الانتقال بقوله:

همه قبيلهى من معلمان دين بودند

مرا معلّم عشق ترا شاعرى آموخت

أي: «كل أفراد قبيلتي كانوا معلمين في الدين / ومعلّم العشق علّمك أن تنشد الشعر».

هذا التحوّل أثّر على خطاب الشاعر، فقد أصبح إنسانيًا جماليًا عميقًا، كما دفعه هذا التحوّل إلى الخروج من دائرة بيئته الضيقة ليسوح في العالم الإسلامي، ويتعرّف على مختلف الثقافات، في العالم العربي وآسيا الوسطى وشرق آسيا، وليعود وهو محمّل بتجارب إنسانية واسعة، خلّدها في نثره وشعره.

جُمعت آثاره في مجموعة سمّيت «كليّات»، والكليّات لأي أديب تعني مجموعة ما تركه من أدب منثور ومنظوم.

وتضمّ كليات سعدي: «گلستان» أو روضة الورد، ويضمّ مجموعة من ذكريات الشاعر وقصصه ومواعظه، وهي مزيجة من النثر والشعر. وكتاب «بوستان» أو روضة العطر، و يتضمن

حكايات منظومة وقصائد في المديح، وكتاب «غزليات» ويتضمّن الطيبات، والبدائع، والخواتيم، والغزليات القديمة، والترجيعات، والملحقات، والرباعيات. وكتاب «المواعظ» وفيه القصائد الفارسية والعربية، والغزل العرفاني، ونصيحة الملوك ، والمجالس.

وسعدي العاشق شعره طافح بمعاني «الفتوة» غير أنه غير معروف بانتسابه إلى أصحاب الفتوّة، لكننا نرى في «فتوت نامه سلطاني» للملا حسين الواعظ الكاشفي السبزواري (المذكور في مؤلفي الفتوات الفارسية) إشارتين صريحتين إلى انتساب سعدي إلى أصحاب الفتوة من جماعة «السقائين».

بعد أن يذكر فتوة السقائين وما يرتبط بهم من رموز يرى أن هذه السيرة مستلهمة بعد الأنبياء من أولياء الإسلام.. من علي بن أبي طالب عليه السلام ثم من ابنه العباس بن علي حيث حمل القربة في صحراء كربلاء كي يروي عطش أهل البيت ثم يقول ما ترجمته:

«إذن كل من يمتهن السقاية عاشقًا لشهداء كربلاء فهو متابع وموافق للعباس بن علي(ع)، إذ إن (العباس) في مقدمة سقّائي الأمة، ومن لا يعرف هذا المعنى فليست سقايته بمسلّمة. وبعض أسناد السقاية في هذه الأمة بعد الامير والعباس تصل إلى سلمان الفارسي الذي كان يحمل القربة على كتفه دائمًا ويأتي بها إلى بيت الزهراء سلام الله عليها. والشيخ مصلح الدين سعدي الشيرازي فعل ذلك أيضًا، وهذه الجماعة تسمى الإحيائيين» (الكاشفي/ ٢٩٦).

ثم إن الكاشفي يذكر سند فتوته ويذكر شيخ طريقته شيخ الإسلام أحمد بن محمد القايني وهو عن تاج الدين علي دهقان.

ثم يذكر سند علي دهقان فيقول ما ترجمته إنه «ابن مولانا محي الدين القمي، وهو ابن مولانا الخواجوي الكرماني وهوابن مولانا حسن الكاشي، وهو ابن مولانا فضل الله الهروي وهو ابن پير محمد البغدادي، وهو ابن الشيخ مصلح الدين سعدي الشيرازي، وهو ابن الشيخ شهاب الدين الكبير، وهو ابن جوانمرد العارف» ويستمر في ذكر سلسلة النسب حتى يوصلها إلى علي بن أبي طالب (الكاشفي/ ١٢٥).

والملاحظ أن كلمة «ابن» هنا تعني البنوة الروحية لا النسبية. ولعل أقدم سند في باب انتماء سعدي إلى السقائين ما يذكره صاحب «شدّ الإزار» إذ يقول: «وصحب (سعدي) الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي، وكان معه في السفينة، وقيل كان يسقي الماء ببيت المقدس وبلاد الشام مدّة مديدة حتى رأى الخضر عليه السلام فأرواه من زلال الأفضال والإنعام» (شد الإزار/ ص٤٦١).

جدير بالذكر أن امتهان سعدي للسقاية لم يكن من باب الكسب والحصول على المال، إذ ثمة قرائن كثيرة تدلّ على أن سعدي كان يتمتع بثروة وجاه وجلال، وكان لبيته حجّاب. (شفيعي كدكني/ ١٣) فالسقاية كانت إذن من «الفتوة» وترمز هذه المهنة إلى إغاثة اللهفان وإرواء الصديان، وخدمة بني الإنسان.

سأل المخالف

نزار قباني

سأل المخالف حين انهكه العجب

هل للحسين مع الروافض من نسب

لا ينقضي ذكر الحسين بثغرهم

وعلى امتداد الدهر يُوقِدُ كاللَّهب

وكأنَّ لا أكَلَ الزمانُ على دمٍ

كدم الحسين بكربلاء ولا شرب

أوَلَمْ يَحِنْ كفُّ البكاء فما عسى

يُبدي ويُجدي والحسين قد احتسب

فأجبته ما للحسين وما لكم

يا رائدي ندوات آلية الطرب

إن لم يكن بين الحسين وبيننا

نسبٌ فيكفينا الرثاء له نسب

والحُرّ لا ينسى الجميل وردِّه

ولإنْ نسى فلقد أساء إلى الأدب

يــالائمــي حــب الحسين أجــننا

واجـتاح أوديــة الضـمائر واشرأبّ

فلقد تشرَّب في النـخاع ولم يــزل

سـريانه حتى تسـلَّط في الرُكـب

من مثله أحيى الكـرامة حيـنما

مـاتت على أيـدي جـبابـرة العـرب

وأفـاق دنيـًا طــأطـأت لــولاتــها

فـرقى لـذاك ونـال عـالية الرتــب

و غـدى الصمـود بإثره متحفــزًا

والـذل عن وهـج الحيـاة قد احتجب

أما البـكاء فــذاك مـصدر عـزنا

وبــه نـواسيهــم ليوم المنقلــب

نـبكــي علــى الـرأس المـرتل آية

والـرمح منبره وذاك هو العجــب

نبكي على الثغر المكسر سنه

نبكي على الجسد السليب المُنتهب

نبكي على خدر الفواطم حسرة

وعلى الشبيبة قطعــوا إربـًا إرب

دع عنك ذكـر الخـالدين وغبطهم

كي لا تـكون لنـار بارئهم حـطب

جيش الجمهورية الإسلامية الإيرانية

الإمام الخامنئي

الجيش – دون مبالغة – حقيقة مليئة بالعبر وتستدعي التفكير في عصرنا الراهن. جيش الجمهورية الإسلامية هو في الحقيقة ظاهرة جديدة . لا يظننّ أحد أن الجيش اليوم هو امتداد للجيش السابق. هذه المجموعة وهذه الهوية الجماعية هي صنع جديد يقوم على أساس إعادة البناء بالمعنى الصحيح للكلمة، إعادة البناء هذه لها ثلاثة أركان، وتمتدّ هذه الأركان إلى مدى ما تبدونه من همّة وقدرة وابتكار وسطوع وتقدّم . هذه الأركان الثلاثة هي: الأول: الدين والأخلاق. والثاني: الاستقلال. والثالث الفاعلية. هذه العناصر الثلاثة لجيش الجمهورية الإسلامية الإيرانية حياتية وأساسية وتشكل البناء الجديد للجيش.

الأول: الدين والأخلاق. يجب أن يكون بناء هذه المجموعة الإنسانية وجهازها وتوجهها وتعاملها الداخلي مع الخارجي يقوم على الدين والأخلاق..... وهذا قائم في جيشنا بجلاء.

الثاني – الاستقلال، أي أن يكون التحرك والسعي من أجل مصالح الشعب والوطن والقيم التي يحملها. أليست هذه الخاصية الجديدة موجودة لدى جيشنا العزيز؟! أيستطيع أحد إنكارها؟! ....

الثالث – الفاعلية، وقد أظهر الجيش فاعليته بجلاء، خلال الأعوام الثمانية من الحرب المفروضة أبرز الجيش كفاءته باعتباره الركن الركين للدفاع عن الحدود وعن استقلال البلاد.